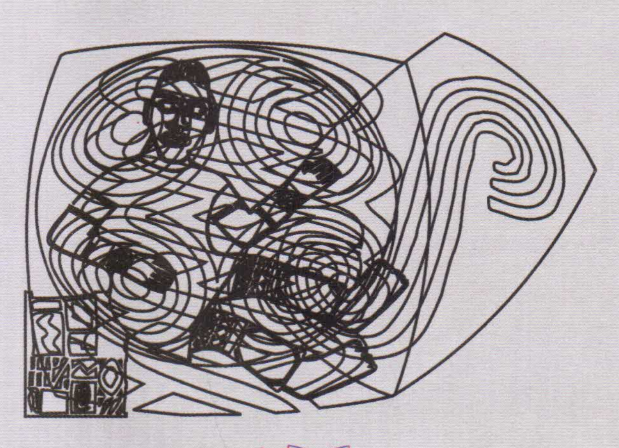


ثورة زنجبار ١٩٦٤م

هل العرب مواطنون في أفريقيا أم مستوطِنون؟

د. عبد الله علي إبراهيم





2016



سلسلة كتابات نقدية
في مسائل الفكر والتاريخ

يحرّرها د. عبد الله علي إبراهيم

صدر في الدورة الأولى (١٩٧٦-١٩٧٧م):

١. الماركسة ومسألة اللغة في السودان، ١٩٧٦م.
٢. كيف أحطوطب عشب «إشراقة» التيجاني يوسف بشير، ١٩٧٧م.

صدر في الدورة الثانية (٢٠١٠-٢٠١٢م):

٣. بخت الرضا: التعليم والاستعمار، ٢٠١٠م.
٤. انقلاب ١٩ يوليو ١٩٧١: من يومية التحري إلى رحاب التاريخ، ٢٠١٢م.
٥. فاطمة أحمد إبراهيم: عالم جميل، ٢٠١٢م.

صدر في الدورة الثالثة (٢٠١٦م):

٦. ثورة زنجبار ١٩٦٤: هل العرب مواطنون في أفريقيا أم مستوطنون؟، ٢٠١٦م.
٧. التعريب: هذيان مانويّ، ٢٠١٦م.
٨. حركة وطنية أم حركات وطنية:
تاريخ ما أهمله التاريخ عن جنوب السودان، ٢٠١٦م.
٩. أصوات أخرى في الحديقة: التعليم والتراث في السودان، ٢٠١٦م.



دار المصورات للنشر
والطباعة والتوزيع

الخرطوم غرب،
شارع الشريف الهندي
المتفرع من شارع الحرية
ت: 0912294714

ثورة زنجبار ١٩٦٤م

هل العرب مواطنون في أفريقيا

أم مستوطِنون؟

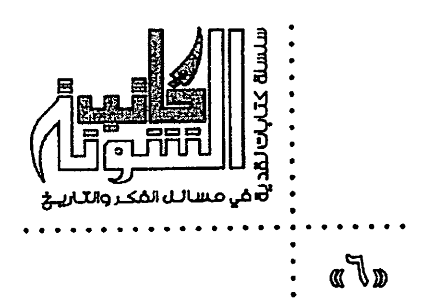
سلسلة «كاتب الشونة»
(٦)
الكتاب: ثورة زنجبار ١٩٦٤م
هل العرب مواطنون في أفريقيا أم مستوطنون؟
الكاتب: د. عبد الله علي إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى 2016م
رقم الإيداع: 2015/17555

الناشر: دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع



الخرطوم غرب،
شارع الشريف الهندي
المتفرع من شارع الحرية
ت: 249912294714+
banaga1985@yahoo.com

المدير المسؤول: أسامة عوض الريح
التحرير: محمد عمر نصر
التصميم: محمد الصادق الحاج



«٦»

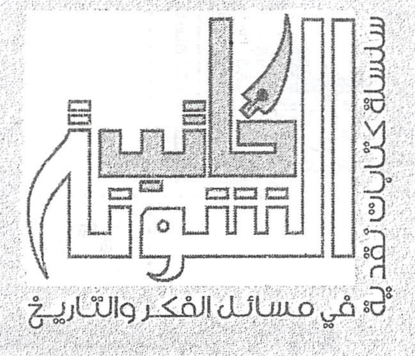
ثورة زنجبار ١٩٦٤م

هل العرب مواطنون في إفريقيا أم مستوطنون؟

د. عبد الله علي إبراهيم



دار المصورات للنشر
والطباعة والتوزيع
2016



هذه سلسلة لمعالجة قضايا الفكر ومناهجه تفاءلَت باسم «كتاب الشُّونَة» الذي هو أول مدوّنة تاريخية مستحقّة الاسم في السودان، وهي عن تاريخ دولة الفونج (١٥٠٤م-١٨٢١م) كتبها الشيخ أحمد بن الحاج أبو علي كاتب الشونة المولود في «٨٤-١٧٨٥م» بالجزيرة جهة المسلمية. وجاءت شهرته بـ«كاتب الشونة» من وظيفته في ١٨٢٤م كاتباً لشونة الغلال للحكومة التركية التي حكمت السودان في ١٨٢١م. أخذ كاتب الشونة تاريخ الفونج الباكر مما سمعه أو قرأه، أما تاريخهم المتأخر الذي عاصره فقد شهد على عصره. ولم يتوقف بنهاية دولة الفونج في ١٨٢١م بل استمر يؤرّخ لزمانه حتى عام ١٨٣٤م.

واكتنفت المخطوطة بركةٌ غرّاء في التأليف. فكانت موضوع تضامن تاريخي لمثقفين في الدرجة الرفيعة. فقد اتفق لجماعة من بواكير مثقفينا في القرن التاسع عشر، هم القاضي المفتي إبراهيم عبد الدافع ١٨٠٠م، والزبير ود ضوة، والمفتي الأمين الضرير، على المضي بتدوين التاريخ العاقب لسنة توقّف كاتب الشونة ١٨٣١م صُعداً حتى عام ١٨٧٢م. ثم تعاقب على تحريرها ونشرها في القرن العشرين من شتيت نُسَخها، في إسطنبول وڤيينا ولندن ونوتنغهام، صفوة من المؤرِّخين هم الدكتور مكي شبيكة ١٩٤٧م، والشاطر البصيلي عبد الجليل (١٩٦١)، وب. م. هولت ١٩٩٩م. ووصفَت المؤرّخة هيذر شاركي المخطوطة بأنها أهمّ مصدر في اللغة العربية عن السودان في حقبة تزايدت فيها وتائر انتشار الإسلام وأرهصت هويته العربية الإسلامية بالظهور.

المحتويات

(أ)

ثورة زنجبار ١٩٦٤م:
هل العرب مواطنون في أفريقيا
أم مستوطنون؟

أريد بهذا المبحث تجديد البحث في هولوكوست العرب في زنجبار الذي أنزلته بهم ثورة «الأفارقة» في العاشر من يناير ١٩٦٤م فقضت على سلطانهم في الجزيرة وتعقبتهم قتلاً واعتقالاً واغتصاباً وتهجيراً على الهوية. وما حثني على العود على بدء بخصوص هولوكوست زنجبار شهود عام ٢٠١١م صدور ثلاثة كتب تطرقت بصورة إيجابية أو سلبية لمحنة زنجبار. كتابان من الثلاثة تناولا وقائع تصفيات عرقية مصموت عنها. فعرض كتاب الأكاديمي الأمريكي رينيه لمارشان لحادثات ثمان منها وَصَفها بـ«المنسية». ولم تكن بينها محنة زنجبار. وهكذا فالمأساة العربية الإنسانية لا

تُذكر حتى حين يفتح الله لكاتب أن يرفع الغطاء عن محن البشر المطوية. فهي من منسيّ المنسيات. ولكن وجدتُ الأكاديمي الكندي هيربرت آدم أفرد لها فصلاً في كتابه «أصوات مخرَسة: فظائع مجهولة في القرن العشرين». أما الكتاب الثالث الذي حفزني لأنظر مجدداً للمحنة فهو للأكاديمي جوناثان قلاسمان، الاختصاصي بتاريخ ساحل شرق أفريقيا بجامعة نورثوسترن، الذي وضعها في سياق تحليل متعمق للفكر العرْقي والعنف في زنجبار.

وأستغلّ حلول الذكرى الخمسين لهذه النكبة العربية في ٢٠١٤م لأميط، نافذاً بمدخلها السالب الصعب، الأذى عن طريق العلاقات العربية الأفريقية. فالمحنة هي، بتعبير الفرنجة، «عظام نخرة» في دولاب القومية الأفريقية التي تضيق واسع القارة فتقصرها وطناً للزنج السود لا غير. وهي ذروة في عقيدة أفريقيا الزنوجية التي لم تتواضع بعد على الاعتراف بأن أفريقيا حمالة أوجه وثقافات وشعوب. فإن لم تكن زنجياً قحاً، في منظور هذه العقيدة، فأنت «مستوطن» عتَوْت على أهل البلد وسيأتي يوم أن تُردّ إلى أهلك الأولين مهما طال مكوثك في القارة أو تُبَاد دون ذلك.

يريد البحث أن نتدارك بإستراتيجية عربية ناجعة هذه المهلكة التاريخية بهجمة فكرية رصينة على الاعتقاد الخطر السائد بأن العرب غزاة لأفريقيا وجماعة من المستوطنين يدخل اقتلاعها في باب الثورة وصالح الأعمال. وكانت هذه العقيدة إطاراً

قـلّ التصريح بـه في مسـألة جنـوب السـودان[1]. فقد ادخـرت الدوائـر المتطرفـة مـن القوميـين الجنوبيـين «الأفارقـة السـود» في نزاعهـم مـع «عـرب الشـمال» مصـيراً لأولئك العـرب كمثل يـوم الأندلـس وزنجبار.

وعالـج محمـود ممدانـي، الأنثربولجـي الأفريقـي المعـروف، هذه العقيدة الفاسـدة التـي اكتنفت الصراع في دارفـور في كتابـه «منقـذون وناجـون» (٢٠٠٩م). فعـرَض لكيـف صَـورت دوائـر متنفـذة في دارفـور والغـرب مسـألة دارفـور كنـزاع بـين عـرب طارئـة وأفارقـة قارّيـن. ولما كانت دراسـة عرب السـودان لم تتجـاوز محطـة حلولهم في السـودان في مـا بين القرن التاسـع والخامـس عـشر كثـيراً في دراسـات الغـرب عنهـا ومن تبعهـم بغير إحسـان، صار أولئـك العرب، وقـد تجمدوا في التاريخ، «مسـتوطنين» عتـوا على أهله الأصـل وأخرجوهـم عن ديارهـم.[2]

---

(1) استنكرت الحركة الشعبية في بيان لها أخير استهداف الجيش السوداني، العربي في نظر الحركة، «السكان الأصليين» في جبال النوبة بجنوب كردفان والنيل الأزرق (سودانايل ١٧ سبتمبر ٢٠١١). وراجع أبوبكر القاضي، القيادي بحركة العدل والمساواة الدارفورية، ناشطاً من جبال النوبة بولاية جنوب كردفان لتأكيده أن شعبة النوبة هم «أصحاب الأرض الأصليين» بينما المسيرية العرب وافدون. وقال له أن التجمل بالأصالة على الأرض فكرة خطيرة بجعلها «المواطنة درجات ربما بحسب الأقدمية في التواجد على الأرض أو حسب النقاء العرقي الزنجي للأشخاص الموجودين على الأرض».

(2) Sandra Lockwood, Nightmare in Paradise: the 1964 Zanzibar Revolution and Genocide. In Adam Heribert, *Hushed Voices: Unacknowledged Atrocities of the 20th Century* (Berkshire, Berkshire Academic Press, 2011), p. 24.

أسقف كانتبري، شخير التاريخ:

زار نيافة روان وليام، أسقف كانتربري، زنجبار في ٢٠٠٧م وغشي الكاتدرائية الإنجيلية المبنية فوق سوق أثري للنخاسة العربية في القارة في القرن التاسع عشر. ومر نيافته على زنازين أولئك الرقيق وحمل قيودهم بين يديه وقال: «ولكأن الرق نوع من الجبر على المجتمع الإنساني. بوسعك العودة مرة بعد مرة لتجعل من الناس أدوات أو ممتلكات. ولا أحسب أننا سنجلس حيث نحن ونقول إن ذلك كان في الماضي وانقضى. فكل صور النخاسة الحديثة، الرق الاقتصادي، ورق المَدين، ونخاسة التبضع في الجنس-كلها حاضرة معنا في زمننا (لوكوود ٢٠١١، ٢٤).[1]

ولو كان لضحايا هولوكوست العرب في زنجبار بعد ثورة ١٩٦٤م نصب في الجزيرة لربما رأى نيافته، متى زاره، أن بعضنا من مثل قوميّ ثورة ١٩٦٤م الزنوجية لم يكن جالساً على عجيزته حيال الرق مكتوف الأيدي. فقد انغبن أولئك القوميون من نصب الرق مثل كنيسة زنجبار، التي أنشئت في ١٨٧٠م لتدشين «المهمة الحضارية» الاستعمارية الأوروبية على خرائب الرق العربي، وأوغرت صدورهم بالتذكير وحيد الجانب بذلك الرق، حتى وأتاهم الظرف فأفسدوا في الأرض. واستنكر قلاسمان هذا الصوت الغربي المبرمج لإذكاء

(1) Mahmood Mamdani, Saviors and Survivors: Darfur, Politics, and War on Terror, (New York, Doubleday, 2009), p. 93.

ذكرى الرق العربي في شرق أفريقيا. فذكر في السياق مسلسلاً للأكاديمي الأمَريكي الأفريقي البارز بجامعة هارفارد، هنري لويس قيتس، وعنوانه «عجائب أفريقيا»، الذي خصص حلقة منه لأهل ساحل أفريقيا الشرقي وثقافاتهم. فزار زنجبار وساءه أن يزعم بعض أهلها نسبة شيرازية فارسية وهم سود مثله. وزار قييتس كنيسة سوق النخاسة العربي المار ذكرها التي صارت منذ الثورة مزاراً يعاد فيه إنتاج تاريخ النخاسة العربية وأساطير وحشيتها. وعاب قلاسمان على هنري أنه سمح لسدنة النصب أن يروا له تلك الأساطير وكأنها حقائق تاريخية مؤكدة.[1]

ومزارات الرق العربي في شرق أفريقيا عديدة. فقد غشي السيد محمد فايق، الدبلوماسي المصري، حرماً من حرمات الشحن التاريخي ضد العرب. فرأى لوحة نصبها الإنجليز بجامعة ماكريري بأوغندا على موضع بارز أظهرت إنسانية الإرساليات المسيحية التي جاءت لأفريقيا لتحررهم من أغلال الرق التي شكمهم العرب بها. كما حوى متحف ليفنقستون في زامبيا عرضاً عن إنسانية المسيحية ونخاسة العرب.[2]

---

(1) Jonathan Glassman, War of Words, War of Stones: Racial Thought and Violence in Colonial Zanzibar, (Bloomington: Indiana University), p. 310.

(2) محمد فائق: عبد الناصر والثورة الأفريقية. دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.

- أيضا راجع: ناصر بن عبد الله الريامي: زنجبار: شخصيات وأحداث. دار الحكمة، (لندن، ٢٠٠٩م، ص ٥١٥.

وبلغت رسالة تلك النصب من أوغرته فلم يرحم. فجون أوكيلو، قائد ثورة ١٩٦٤م الزنجبارية وسفاحها موضوع ورقتنا هذه، ممن أثار حفيظته واحد من تلك المزارات. فهو يوغندي الأصل شريد آفاق ساقته المعايش إلى زنجبار عبر كينيا في ١٩٥٩م كما سنرى. فقال إنه كان بكينيا فأحسن له عربي بموضع للمبيت ولكن حذره من الشخير بعد وصفه بـ«العبد». وحلم ليلتها بمن قال له إنك ستعبر إلى جزيرة بالمحيط الهندي ونبهه إلى أن يحذر لأنه سيعاني الأمرين على يد أجانب[1]. وزار في سياحته قلعة المسيح بممباسا بساحل كينيا الشرقي وقال إن حيطانها شاهد يُخجِل تجار الرقيق العرب. فسجد على بلاطها من فرط الغبن وأقسم أن يزيل تجارة الرقيق التي يرزح تحتها الأفارقة في المستعمرات البرتغالية وجنوب أفريقيا[2]. وصدق أوكيلو وعده كما سنرى.

أن تُقتَل العرب:

تحتفل زنجبار كل عام بثورة ١٩٦٤م ولا يذكر أحد الهولوكوست الذي ارتكبه الثوار بحق شعبها العربي. وهو جنوسايد بدا به أن جماعة أثنية ما كادت تطهر الوجود من أثنية أخرى[3]. وتاريخ

(1) John Okello, Revolution in Zanzibar, (Nairobi, East African Publishing House, 1971), p. 62.

(2) Okello, 64.

(3) Lockwood, 13.

المذبحة ما يزال ناقصاً بعد نحو نصف قرن من حدوثها حتى قال قلاسمان، على سعة اطلاعه في الشأن، إنه مما يستحق أن يكتب في سجل شامل للثورة لم يقع لنا بعد[1]. ودأب على إنكار هذه المحرقة الأدب الأفريقي بالذات الصادر عن مؤرخين من بر تنزانيا. فقل خوضهم في دقائق تلك المذبحة وعوضوا عن ذلك بتكذيب «تخرصات العرب عنها. فعمر مابوري (١٩٩٦م) يزعم أن مسألة ضحايا الثورة حبل على غارب لأنه لم نقع على إحصاء موثوق به لعدد القتلى والجرحى[2]. وقال مابوري إن هذا الفراغ ملأته الحدوس والتزويرات. فالعرب توارثوا زعم أن الثورة قد قتلتهم بالجملة. وهذه قصص لا طائل من ورائها سوى تأجيج الفتنة بين أعراق الجزيرة. ونُسِبت المبالغة في أرقام ضحايا العرب إلى جون أوكيلو، اليوغندي الغامض الذي قاد الثورة، بما ظل يذيعه على الراديو خلال

---

(1) Glassman, 284.

(2) استغربت لوكوود كيف أنه ليس بيدنا تغطية موثوق بها لمقتلة زنجبار ومرور هذا القتل المجاني بغير أن يلحظه أحد ويسجل وقائعه. وزادت أنه لا بد هناك من عاش تلك الفظائع وسَلِم ودوّن وقائعها. لماذا لم تقع بيدنا تغطية مباشرة من شاهد عيان؟ هناك عرب هربوا وأنشأوا جماعات مغتربة في عمان وغيرها من بلاد العرب. فإذا لم يخرج شهود العيان هؤلاء بروايتهم سيظل هذا الجنوسايد حادثة غامضة أو أسيء فهمها (Lockwood, 23). وربما غاب عن الكاتبة السجل العربي في هذا الخصوص. ووجدت الريامي (٢٠٠٩) جاء بعينات ناضجة من تلك الذكر.

الثـورة مـن قتـل مجان للعـرب بقصـد الترويـع. ثم تخلـص مابـوري من الـوزر بتخليـط المسـألة بقوله إن الضحايـا كانـوا عربـاً وأفارقـة. وهـذا تفريق لئيم للـدم بـين القبائل.[1]

واحدة من سبل التغطية على المذبحة وتغييبها هي الإنكار المتفاوت لدور الفيلد مارشال جون أوكيلو في الثورة برغم أنه الشاهد المستميت عليها. فأحصى ضحايا العرب عداً في كتابه «ثورة زنجبار» (١٩٧١م) ساعة بساعة ويوماً بيوم. بل قال إنه طلب عن طريق الإذاعة في الثانية بعد ظهر يوم الثورة ١١ يناير من قادة فرقه المسلحة أن يوافوه بخسائر العدو في الأرواح والجراح والاعتقال. وطلب منهم تقديم نفس المعلومات عن ضحايا الثوار[2]. واستنتج أنتوني كليتون أن أوكيلو ربما عمل شرطياً في زنجبار قبل الثورة مع أنه لم يذكر ذلك ضمن أشغاله في كتابه. فطلبه من عصبته الثورية التبليغ عن الضحايا بعد كل معركة مع العدو تدريب نظامي بريطاني علاوة على ما بدا عليه من ارتياح في زيه العسكري في الصور التي أخذت له بعد الثورة. فصورته في زي الفيلد مارشال هي لشخص مرتاح في ملبوس واضح أنه لم يرتديه لأول مرة.[3]

وتواتـرت التقاريـر. جـاءه التقريـر الأول في

---

(1) Omar Mapuri, Zanzibar, the 1964 Revolution: Achievement and Prospects, (Dar es Salllam, Tema Publishers, 1996), pp. 54-55.

(2) Okello, 148-149.

(3) Anthony Clayton, Zanzibar Revolution and Its Aftermath (London, C. Hurst, 1981), p. 52.

الثالثة بعد الظهر عن هجوم عصبته على رئاسة شرطة زيوان أسفر عن ٣٩ قتيلاً و٨١ جريحاً و٤٣٠ أسيراً. وقتلت عصبته ٢١ في رئاسة الجيش في متوني وجرحت ٧٥ وأسرت ٢٢٨. وكان ضحايا هجومها على رئاسة السجون هو ١٧ جريحاً وأسرت ١٦٠. وبلغته تقارير من الريف تفيد أن ضحايا المواجهات كانوا ٧٩١٥ منهم ١٤١٧ من الأفارقة والبقية عرب[1]. وذكر أنه تلقى في التاسعة مساء يوم ١٢ يناير تقريراً باحتجاز عصبته لـ ١٤٧١٦ فيهم نساء العرب وكبارهم وأطفالهم[2]. وقال إنه طوق بنفسه واعتقل ٤١ من العرب (١٨ من النساء و١٠ أطفال) فطلب ترحيلهم إلى زنجبار ولكن طاقم عصبته قتلهم[3]. وقال إنه علم عن ثورة للعرب مدبرة يوم ١٣ من يناير عن صبي رتبت عصبته لشنقه بعد أن قتلوا ٤٠ من أهله. وجاء أوكيلو في الوقت المناسب لينقذ الصبي من الموت[4]. وقال إنهم صاروا في يوم الأحد يبحثون عن العرب «دار دار» بصورة شاملة وإذاعة إحصائيات قتلاهم وجرحاهم ومعتقليهم.[5]

من الجهة الأخرى وجه أوكيلو جنده ألا يتعرضوا للأوربيين أو الهنود. بل أذن لهم التحرك

(1) Okello, 150.
(2) Okello, 151.
(3) Okello, 153.
(4) Okello, 150.
(5) Okello, 151.

في أرجاء الجزيرة بصحبة جند منه[1]. وقال إنه وجه عصبه الثورية مرة لكسر مقاومة العرب بإطلاق النيران في كل اتجاه وقتل كل ما يعرض لهم «رجالاً، نساء، أطفالاً، عرجى ومكاسير، حتى الدجاج والمعيز». وصب البنزين على بيوتهم وأحرقها عن بكرة أبيها بحريق عظيم ثم وجه ضباطه لحصر الضحايا لاحقاً[2]. وقال في موضع آخر إنه وجه عصبته لحرق بيوت العرب دون قتلهم. ولكن رجاله خالفوه وقتلوا بالنظر، في قوله، إلى مضاضة الأفارقة القديمة من العرب. فهم قد عصوه حين وجههم للاحتفاظ بواحد وأربعين عربياً انكشف له مخبأهم فعين لهم حراسة بعد أن اعتقلهم بنفسه وطلب ترحيلهم أحياء إلى مدينة زنجبار[3]. وجمع إزموند مارتن حصيلة أوكيلو فقال إن ضحاياه في يومه الثالث كانوا ١١ ألف وتسعمائة خمسة وتسعين محارباً مقتولاً وهلك ١٦٣١ مدنياً ولم يمت سوى ٩ من عصبة أوكيلو. واعتقلت الثورة ٢١ ألف وأربعمائة اثنين وستين. وقال إنه مع أن القتال والذبح لم يدم طويلاً صارت زنجبار أعنف الثورات في أفريقيا الاستوائية حتى تاريخه.[4]

---

(1) Okello, 155.

(2) Okello, 151.

(3) Okello, 153.

(4) Esmond Martin, Zanzibar: Tradition and Revolution, (London, Hamish Hamilton, 1978), p. 58.

ويستغرب المرء لمنكريّ محرقة زنجبار وشواهدها قديمة. فقد خلدها فيلم « أفريقيا: الدم والبأس» للتلفزيون الإيطالي الذي صوَّر، على الطبيعة، مشاهد القتل على «الدشداشة». وحملت صوره عن زنجبار رعباً محضاً: صفوف طويلة من رجال ونساء في طرقهم لحفر المثاوي الأخيرة لهم، وعربات تراكمت عليها الجثث، ومقابر جماعية، وجثامين بلا حصر طافحة في المحيط هلكت قبل أن تهرب بالقوارب من ويل الهولوكوست. وترى في الفيلم كل ما يصم الثورة بالمحرقة. وأنتج الفيلم السينمائيان الإيطاليان قواتيرو جاكوبيت وفرانكو بروسبري اللذان طافا بالجزيرة على متن طائرة في يوميّ ١٢ و١٤ يناير يصوران وقائع الهولوكوست «لايف» والثوار يرجمونهما بالسلاح لزجرهما عن فعلهما. وشكك القوميون ألافارقة في صدق رواية الفيلم عن الحادثة[1]. بل أدانه سفراء عن ٢٠ دولة أفريقية لإيطاليا. وتسبب ذلك الضغط القومي الأفريقي في غياب وزير الثقافة الإيطالي من الحفل الذي أقيم في ١٩٦٦م بمناسبة منح منتجي الفيلم جائزة دونالتو ديفيد. وما أزعج أولئك السفراء أن الفيلم لم يقل كلمة طيبة واحدة عن أفريقيا وحشد صور الفظاعات الأفريقية التي تمثلت في قتل واحدهم الآخر وتخريب البيئة في أعقاب تحرر القارة[2]. وليس من بين تلك الصور واحدة

---

(1) Clayton, p. 78, footnote 55.

(2) Lockwood, endnotes 26 and 27.

مختلقة بما فيها واحدة عن قتل للعرب والمسلمين بدار السلام[1]. وقال كلايتون إن مشهد زنجبار الدموي صعب التشكيك فيه بواقع طبيعة الأرض في الفيلم التي لا شك في زنجباريتها.[2]

لربما بالغ أوكيلو في الإبلاغ عن ضحاياه ولكن إحصائيات من تحروا الهولوكوست من المؤرخين مزعجة. فرغم خلو يدهم من ثبت بضحايا ثورة ١٩٦٤م إلا أنهم اتفقوا على أن القتل فيها كان مفرطاً وعلى الهوية. فقد تعقبت العصب الثورية العائلات العربية. ومن المحتمل أن الآلاف قتلوا. وسيق آخرون لمعسكرات الاعتقال ثم هُجِّروا من البلد في آخر العام الذي فقدت فيه زنجبار ربع سكانها العرب أو أكثر.[3]

وتتراوح تقديرات المؤرخين لضحايا هولوكوست العرب بين ٥٠٠٠ و١١٠٠٠، وربما كان الحد الأدنى أكثر قليلاً. فكان مدير شركة سميث ماكينزي الإنجليزي، أ. لدجر، بأنقوجا (اسم الجزيرة التي عليها مدينة زنجبار وتشكل معاً مع جزيرة بمبا دولة زنجبار) وقدر الضحايا ب ٨ ألف على أساس البيوت

---

(1) اسم الفيلم هو «أفريقيا الدم والبأس» (Africa Blood and Guts) أو «وداعاً أفريقيا» (Africa Adios). واقتطع منتجون أمريكيون ٤٥ دقيقة منه لم تنقص من بشاعته واحتج عليها منتجوه الطليان. وتجد الجزء عن مقتلة العرب في زنجبار وتنجانيقا على اليوتيوب متى أدخلت «زنجبار» ومترادفاتها.

(2) Clayton, 78.

(3) Glassman, 282.

المحروقة التي مر بها. وهو عدد قال كليتون إنه ربما زاد قليلاً جداً عن عدد القتلى الفعلي ولكنه مقبول. وحدث موت لاحق خلال ترحيل العرب والهنود القسري من الجزيرة[1]. ومن جهته ذكر ڤيتس في مسلسله التلفزيوني عن أفريقيا، حلقة ساحل أفريقيا الشرقي، إنه جاء إلى زنجبار في ١٩٧٠م وما يزال الدم العربي الراعف هاجساً. وقدر أن الضحايا القتلى ب ٥٠٠٠. وقدرت ساندرا لوكوود أن القتلى منهم والمهجرين عنوة هو بين ٥ ألف إلى ١٢ ألف زنجباري معظمهم من أصل عربي[2]. أما كليتون فيقدر أن القتلى كانوا بين ٣ ألف إلى ١١ ألف[3]. ولو حصلنا على تقدير لقتلى جزيرة بمبا غير المحصورين، ولو حدساً، لزاد الضحايا عددا. كما قد يزيد من عددهم أولئك الذين ماتوا في وقت متأخر جراء جراحهم أو عذاب معسكرات الاعتقال[4]. والخلاصة أن العرب الذين كان تعدادهم ٥٠ ألف في زنجبار عام ١٩٦٣م، سدس السكان، نقصوا فصاروا ما بين ١٢ ألف و١٥ ألف بسبب القتل والتهجير والهروب[5]. وتفرق عرب زنجبار فمنهم من هاجر إلى مصر ودبي والكويت. ولكن عمان لم ترحب بهم إلا بعد انقلاب ١٩٧٠م فيها ونجح أكثرهم في مقاماتهم الجديدة رغم أن لغتهم كانت السواحيلية لا العربية.

---

(1) Clayton, 81.

(2) Lockwood, 13.

(3) Clayton, 81, footnote 63.

(4) Clayton, 81.

(5) Clayton, 99, footnote 99.

وبلغ عددهم في عمان ما بين ٨-١٠ ألف. وبقي من العرب في زنجبار من تصالح مع ضياع مجده السالف. ووصفهم صحفي: «لقد غاض الغرور الذي اتسموا به أيام حكمهم الجزيرة. فالتخجيل الذي رماهم بطرف غضيض والخمول الطارئ على طريقة حملهم أنفسهم يخيم على غدوهم ورواحهم في الأزقة الضيقة ويطبع وسط المدينة بجو الجيتو». واستعادوا لحمتهم بالمجتمع بجامع الإسلام والتذرع بأصل أفريقي وبعناية مصر بهم.[1]

وكان القتل على الهوية العربية. فنقل كليتون عن عربي ما رواية ما وقع له فقال: «قاموا بقتل كل العرب الذين طالوهم. وشقوا حناجرهم وهم في نومهم. وهرب منا من هرب إلى المراكب. ولكن طارد والديّ جمع من الثوار على شاطئ البحر برغم أن والدتي أفريقية. فخاض والداي إلماء إلى المراكب ولكن بعض المطاردين لحقا بهما وأمسكوهما من شعورهما وأغرقوهما»[2]. وتسابق العرب إلى البحر للنجاة مما أثبته الفيلم الوثائقي «وداعاً أفريقيا».

ووصف كليتون «حقول الموت» الزنجبارية وصفاً مؤثراً. فقد وجه أوكيلو عصبته الثورية ألا تأخذها شفقة بالمانقا (العرب حديثو الوصول لزنجبار) بالذات. وكان الأوفق حظاً من أُعتقل ووُضِع في معسكرات للغرض ثم حُملوا بعدها إلى

(1) Clayton, 99.

(2) Clayton, 78.

جزر مطرفة وعانوا من الشمس والجوع والعطش. وصاروا يدفنون كل خمسة في قبر من حجم متوسط في جبانات ما. وهناك جثث رميت في الآبار. ودُفن الباقون في مقابر جماعية جاءوا بطبيب من البر الأفريقي للإشراف عليها. وانتهز أهل الثارات الوضع لتصفية ما بهم من موجدة. وهُوجمت منازل الآسيويين وسُلبت. وقُتلت عائلات عربية بأكملها في الأكمة. وفي أحياء العرب بغرب جزيرة أونقوجا (كبرى جزائر زنجبار) ترى خرائب البيوت صفاً صفا وعلى النوافذ الهشيم رايات بيضاء طلباً للاستسلام. وهكذا تضرمت نار الكراهية التي هي إرث من الماضي وتناغمت بتطرف مع حمى السياسة الانتخابية للعشر سنوات الماضية التي سبقت استقلال البلد في ١٩٦٣م وأخرجت أثقالها في مذابح بالجملة. وكلما تعاظم العنف صار قدراً[1] لا منجاة لأحد منه. وصار الجميع شركاء فيه كمن تواثقوا فيه بذنب مشترك إلى حد ما. وحملت المذابح والحرائق طابع البوقرمز (pogroms) في التاريخ الأوربي. وبلغ عدد القتلى عدة الآلاف.[2]

ولرسم شراسة الهولوكوست العربي وصف كلايتون زيارة لأوكيلو لجزيرة بمبا في ٢٢ يناير. وكانت بمبا لم تتحمس للثورة بل عرضت على السلطان والحكومة المخلوعين ممارسة عملهما من أرضها. فركب لها أوكيلو مركب «سيد خليفة»

(1) Clayton, 80.

(2) Clayton, 81.

السلطانية التي صار اسمها «جمهوري» بفرقة تعزف الموسيقي العسكرية البريطانية[1]. وأعمل قتلاً وضرباً في أهلها. واستعمل في عرب بمبا أسلوب الإزراء. فعصبته تهين الناس وتجلدهم على الملأ فيبطحون الهنود والعرب على الأرض ويقصون ذقونهم ويجزون شعورهم علاوة على اغتصاب النساء والفتيات ونهب الدور والمتاجر. وكان الموكندي، وهم عمال وافدين من شعب بموزمبيق، شرسين في كل ذلك. ولم يسلم من الإزراء حتى أحد كوادر الحزب الأفروشيرازي (المفروض أن الثورة تمت باسمه كما سنرى) من الهنود صادروا داره وحلقوا رأسه وجعلوه يمسح الطرقات لينظفها في الظهيرة مثل بقية الآسيويين.[2]

سنقف وشيكاً على الطريقة التي تخلص بها الشيخ عبيد كرومي، رئيس مجلس الثورة ورئيس زنجبار لسنوات ١٩٦٤م-١٩٧٢م، وحزبه الأفروشيرازي من الفيلد مارشال السفاح أوكيلو فوقفت حمامات الدم. ولكن الأذى لم يرتفع بالكلية عن العرب والهنود. فتواصل في عهد كرومي تطهير الخدمة المدنية من الآسيويين والعرب وأغلقت المدارس الخاصة بهم. وهاجر كثير منهم أو أعد نفسه للهجرة. ونجح بعضهم في تسفير جواهره وأمواله إلى الخارج ولكن في معظم الحالات تركوها أو صادرها الجمرك حين تفتيشهم. وأحلوا تلامذة

---

(1) Clayton, 88.

(2) Clayton, 90.

أفريقيين محل التلامذة العرب والآسيويين في مدارس الحكومة. وأعيد تسمية تلك المدارس بأسماء قادة الحركة الوطنية الأفريقية مثل لوممبا ونكروما وأبوتي وكاسترو وناصر وبن بيلا بدلاً من أسماء الإنجليز والسلاطين.[1]

واستمر التضييق على العرب والهنود. وقال قيتس في فيلمه عن زنجبار إنه قد صدم لقرار من مجلس الثورة رخص لقائدها وآخرين نكاح بنات الهنود والعرب أو الزواج منهن على المشيئة. ووصف الإجراء بأنه «شاذ» شهد بأن بوسع الأفارقة ارتكاب العنصرية والنخاسة المعاكسة. وتوالت الأوامر مثل قانون الاعتقال التحفظي الذي قنن معسكرات العرب القائمة التي حوت ٢٢٠٠ معتقلاً. ولم يكن بين المعتقلين آسيويون لأنهم تركوا زنجبار وجرى تجريدهم من مالهم سوى ١٠ جنيهات إسترلينيه. ورتب مجلس الثورة لتهجير العرب والمانقا بخاصة. وكان المأمول أن ترحلهم البحرية البريطانية وخيبت الظن. وأوكل ترحيلهم لمقاولين ينال الواحد ٩ جنيه إسترليني على الرأس. وزحم المقاولون المراكب فوق ما تحتمل حتى أن موظفاً بريطانياً بالميناء لم يوقع على تصريح السفر لها ولم يُسمح للصليب الأحمر أن يشرف على التهجير. وزودوا المراكب ب ٦٠٠ جالون من الماء لرحلة تمتد لست أسابيع. وطلبوا من سفن التجار الغربيين أن تراقب المراكب وتعين

---

(1) Clayton, 110, footnote 138.

بـالأكل والشراب متـى احتاجـوا له ولكـن لا شيء عدا ذلـك. وأنقص هـذا التهجير سـكان زنجبـار[1] العرب ٥٠٠٠ نسـمة أخـرى غير الذيـن أخذوا الـزوارق قبل التهجـير فيمـا سـمي تفكهـا ب «vc10s» (وهي نوع الطائـرات التـي كانـت للخطـوط الجويـة البريطانية وقتها).[2]

(1) Clayton, 98.

(2) Clayton, 99.

(ب)

رب الأفارقة، ثورة أم غزوة؟

لم تكن الثورة في ١٩٦٤م وطنية زنجبارية في المعنى المعروف للوطن-الأمة ككيان لشعب ذي سيادة على رقعة جغرافية. فقد قام بها يوغندي هو الفيلد مارشال أوكيلو في عصبة من أهل بر أفريقيا. وعليه ربما كان وصف تلك الثورة الأقرب لواقعها هو أنها «غزوة»[1] للجزيرة من البر الأفريقي استعاد بها قطعة منه سادها المستوطنون العرب والهنود وغيرهم. فقال كليتون إنها ثورة صنعها البر الأفريقي لمصلحة آخرين ويعني بهم أفارقة زنجبار.[2]

ولم يأل الجبار الفيلد مارشال أوكيلو حرصاً أن تكون عصبته العسكرية خالصة من أهل بر

---

(1) الريامي، ٥٠٤.

(2) Clayton, 51.

أفريقيا. وكان اعتقاده أن أفارقة زنجبار ممن لا يوثق فيهم لرابطتهم الوثيقة بالعرب، بل لقرابتهم بهم، فيمكن لهم أن يكونوا جواسيس يفسدون التآمر. وأفارقة القارة البر الأصل، في نظره، براء من هذه الخساسة[1]. ولذا أختار ممن تطوعوا للانقلاب معه ٣٠ زنجبارياً من بين فريقه المكون من ٣٢٠ متطوعاً[2]. وانضم إليه شرطة الجزيرة التي قوامها أفارقة البر (٢٧ من كينيا، ٤ من تنجانيقا، ٣ من أوغندا، ٢ من ملاوي، ٣ من روديسيا، وواحد من موزمبيق و٢ فقط من زنجبار) الذين كانت حكومة زنجبار الجديدة المستقلة فصلتهم في نهاية ١٩٦٣م شكاً في ولائهم ولم تحرص على دفع مستحقاتهم لإخراجهم من الجزيرة. وكان من أشرس عصب أوكيلو الماكندي وهم من موزمبيق ولهم تاريخ في التمرد والاحتجاج.[3]

ولم تكن الثورة إحساناً لأفارقة زنجبار فحسب بل إنهم فوجئوا بها. فصناعها لم يستأذنوا أصحاب المصلحة الحقيقية للقيام بها. فلم يعلم رموز المعارضة الزنجبارية بخبرها ناهيك عن تنظيمها. وقيل إن كرومي سمع بها همساً فأبلغ قيادة الشرطة الإنجليزية في الجزيرة لتبرئة ساحته متى قامت وانتكست[4]. وكان يغط في نومه حين

---

(1) Okello, 177.

(2) Okello, 50.

(3) Clayton, 90, footnote 57.

(4) Clayton, 68.

أيقظه رجال أوكيلو وأخذوه صباح يوم الثورة الباكر إلى دار السلام بزعم سلامته متى ما أخفقت الثورة. وحدث نفس الشيء لعثمان شريف، غريم كرومي في الحزب الأفروشيرازي، أيقظه مسلحون وطلبوا منه أن يبقى معتزلاً الناس لساعات. كما وضعت عصبة أوكيلو قادة حزب كرومي تحت الحماية الثورية[1]. أما الذي أيقظ عبد الرحمن بابو، زعيم حزب الأمة الماركسي، فهو السفير الكوبي لدى تنجانيقا. وكان بابو الثوري أرسل نخبة من حزبه للتدريب على السلاح في كوبا بتنسيق مع ذلك السفير. ووصلوا قبل الثورة بأيام في دار السلام التي جاءها بابو نفسه يوم ٨ يناير ملاحقاً من قبل حكومة زنجبار. ولكن كلينون لا يعتقد أن بابو كان له الوقت، والحال على ما عليه، ليدبر لثورة مسلحة. كذلك استبعد أن يكون عبد الله قاسم هنقا، أمين عام الحزب الأفروشيرازي، مدبراً للثورة برغم أنه كان وثيق الصلة بكمبونا وزير الدفاع القوي في تنجانيقا. وقد خصص كمبونا بعض السلاح القادم من الجزائر لمساعدة ثوار موزمبيق، حركة فرليمو، ليكون بيد هنقا في زنجبار. ولكن لم يظهر من ذلك السلاح شيء بالجزيرة[2]. وربما استغربت السفارة الكوبية، في قول كلايتون، إيقاظ فتاها بابو لنبأ

(1) Clayton, 75.
(2) Clayton, 70.

ثـورة لا يعـرف عنـه شـيئاً[1]. ووجـد كرومي نفسـه مثلـه في ذلـك هنقـا وبابـو في دار السـلام مضطربين حيـال الأحداث التـي تجـري في بلدهـم[2]. وروى عن فـرط «هامشـية» كرومـي خـلال أيـام الثـورة الأولى أن مسـؤولاً بريطانيـاً، جـي ريمـر ضابـط التعليم في الجزيـرة، رآه يزحـف عـلى ركبـه عـلى الأرض بأمـر أوكيلـو ليقبـل قـدم الفيلـد مارشـال[3]. واتفـق بابو وكرومـي وهنقـا أن يعودوا لزنجبـار في ١٣ يناير بعد سـماع أسـمائهم تذاع أعضـاء بمجلس قيـادة الثورة. بـل كان حظ كرومي الرئاسـة. وبعـودة كرومي صار للثورة وجهـاً زنجباريـاً.[4]

وليـس أدل على عزلـة كرومـي وهنقا عـن الثورة التـي تمـت باسـمهم، وصـاروا عـلى رأس هرمهـا الحاكـم، من اللقـاء التلفزيونـي الذي عقـده صحفي إنجليـزي وجمعهمـا مـع الفيلـد مارشـال أوكيلـو في زنجبـار والثورة عـلى أشـدها في أيامهـا الأولى[5]. ولن يخطئ المشـاهد أن أوكيلو كان في مركـز المقابلة وترك للآخريـن الأطـراف. وأظهـر بابـو، الـذي كان يترجم لكرومـي وأوكيلـو مـن الإنجليزيـة إلى السـواحيلية وبالعكـس، حسـاً فكاهيـاً فرقـع فيـه بضحـكات حسـبتها نابئـة بالنظـر لمـا كان يجـرى مـن تقتيـل

---

(1) Clayton, 82.

(2) Clayton. 75.

(3) Clayton, 85-86, footnote 71 and 86.

(4) Clayton, 82.

(5) www.youtube.com/watch?v=sMDkCSC-5g.

فظ خارج قاعة المقابلة. وقال في المقابلة إنه لم يدر بالثورة إلا في صباحها. وحين لّمح له الصحفي بصلة شيوعية كوبية قال إن السفير الكوبي سأله، حين علم بالثورة، إن كانت لديه فكرة عما يجري في الجزيرة. وقال إنهما كانا شركاء في الجهل بالواقعة. ولم يطرف جفن لكرومي، الذي علم بخبر الثورة وتحوط لانكشافها بذريعة كما تقدم، يجيب عن سؤال للصحفي عما دفعه لخيار الثورة. فاشتكى أن حزبه، الأفروشيرازي كما سنرى، نال أكثر أصوات الناس (54%) في آخر انتخابات في ١٩٦٣م ولم يحكم. وعليه فالحكومة المخلوعة كانت حكومة أقلية. وجاء بابو بعبارة «hanky-panky» (خداع وغش) في ترجمته ليصف لعب الحكومة الماضية بإرادة الناخب. ثم سأل الصحفي أوكيلو، الذي وصفه بأنه لا يثق بغير من لم يكن دمه زنجياً حراً، عن سابق خبرته التي جعلته على رأس الثورة وكيف أكتسبها. فكان رده أن من دَرَّبه هو رب الأفارقة ومن زوده بالخبرة هو رب الأفارقة وأنه نجح بفضل رب الأفارقة. وأثارت العبارة الدبلوماسية، التي أخفى فيها نفسه بالكلية، الضحك. واستحسنها بابو للدرجة التي أعاد إنتاجها في نفس المقابلة. فحين سئل إن كان الشيوعيون ساعدوه في حزبه، حزب الأمة، نفى ذلك وقال إن إله الأفارقة وحده من أعانه. ولم ينتبه لتدوير العبارة الذكي من كانوا من حوله.

يثير فهمنا لثورة ١٩٦٤م كـ «غزوة»، لا «ثورة»،

مسائل دقيقة في ديناميكية القومية الأفريقية الزنجية التي تقصر القارة على الزنج دون الأقوام التي تداخلت معهم عبر التاريخ. فنجد قلاسمان قلّب النظر في نفع التضاد الذي يفرق بين «عرب» و «أفارقة» الذي هو أس القومية الأفريقية العرقية. ففي أفريقيا يتعمق مطلب الانتساب لقوميتها (أي مواطنتها) عن طريق الانتماء لأرضها كما لم يكن الأمر في أوروبا. والسبب أن حس أفريقيا القومي تكون في مواجهة غزاة استعماريين، أي أجانب[1]. فالقومية العرقية للأفارقة، الذين عانوا ويل الاستعمار، كانت أفضل خياراتهم لمصادمة السيادة البيضاء المذلة. ولكن ما يعترض عليه قلاسمان هو تجميد مصطلح هذه المواجهة مع الاستعمار الأوربي وكأنه جوهر كل الماضي الأفريقي. فبدلاً من تحري كيف دخلت هذه المصطلحات في الحوار في ظرفها المحدد، وكيفية تبني جيل الأفريقيين النشطاء لها في التاريخ، تجدنا سلمنا بها كأمر لا محيص عنه.

فتقسيم شعب السواحيلي على ساحل شرق أفريقيا إلى عرب وأفارقة هو ثمرة مباحث نشطت خلال الفترة الاستعمارية ساد فيها السؤال: «من هم السواحليون؟». فوجد الباحثون أنهم سود ويتحدثون لغة أفريقية من أسرة لغات البانتو في أصلها ولكنهم مسلمون حنفاء (كوزموبولتانيون) وجهتهم الثقافية المحيط الهندي. واتفق للباحثين

---

(1) Glassman, 299.

عـلى ذلـك تصنيف للسـواحليين مفـاده أنهـم لا عرب ولا أفارقـة. ولبلـوغ هـذه النتيجـة حكّـم الباحثـون استقطابهم لهوية «العـرب» في مقابـل «الأفارقة»[1].
ولكـن منـذ السـتينات مـال دعـاة العرقيـة الأفريقية إلى تصنيـف ثقافة السـاحل وشـعبه كأفارقـة وغضوا الطـرف عـن «العـرب» بصـورة كاملـة. وصـارت مشـكلة ألافارقـة الزنوجيـين كيـف يصرفـون النظر عـن تأثـير المحيـط الهنـدي من مثـل الإسـلام واللغة العربيـة الـذي كان مصـدر هويـة مثقفـي السـاحل الأفريقـي وزنجبـار واعتزازهـم.

لا غـلاط أن ثـورة زنجبـار في ١٩٦٤م واقعـة أسـفرت فيهـا العنصريـة الأفريقيـة بجلاء جـلي. فقد غلبـت بها السـيادة العرقية عـلى السـيادة الوطنية في زنجبار. وشـخّص ملحمة السـيادتين الدموية الدكتور عـلى مزروعـي بملكتـه غـير العاديـة لدرمجـة (مـن دراما) السياسـة بقولـه إن تمكين السـيادة العنصرية الأفريقيـة صادمـت حقائق زنجبـار الوطنيـة صداماً اسـتدعي قيـام أجنبـي هـو الفيلـد مارشـال بقيادة ذلـك التمكين وتنفيـذه بثمـن باهظ. فأوكيلـو أجنبي عـلى زنجبـار كمـا ذكرنـا بأكثر مـن السـلطان الذي أطـاح بـه بتهمـة أن جلالتـه عربـي غريـب ديـار. فالسـلطان مولـود كزنجبـاري، وكذلـك كان أبـوه وجـده وجـده لأبيـه. ولكن مـن جهـة الهويـة الإثنية الزنوجيـة فالسـلطان هـو الأجنبـي المرتجـل: بعض عربـي، وبعض أفريقـي، وأكثر زنجباريـة من الرجل

---

(1) Glassman. 300.

الـذي أنهـى دولتـه ولكنـه أقـل أفريقية مـن أعدائه. فـإذا كان «الغريـب الحكيم» في الأسـاطير مُدَّخر لحل العُقـد وتأليـف النـاس بعـد خصـام وحقـن الدم في شرايـين التاريـخ فـ« الغريـب الزنيم» مثـل الفيلد مارشـال أوكيلو، مـن شـعب اللانقا اليوغنـدي، قادم برايـات الثأر ومنطوياتـه وتأجيج نـار التاريخ ودفق الـدم مـن شرايينه عـلى الأرض.

لـم يكـن بوسـع أفريقـيّ زنجبـاري القيـام بمـا قام بـه الفيلد مارشـال لأن أفارقـة الجزيـرة تداخلوا واحدهـم في الآخـر. فلغتهـم السـواحيلية ودينهـم الإسـلام وثقافتهـم سـاحلية. ولكنهـم باتـوا ينكرون هـذه الخصائـص التـي جمعتهـم بالعرب عنـد ثورة ١٩٦٤م. وسـاغ أن يكـون المنكـر الأعـلى صوتـاً في الأطـوار الأولى مـن الثـورة مـن موضـع بعيـد عـن زنجبـار ليرمـز لنقاء التحـدي الأفريقي القـح للعرب. فالغريـب الفيلـد مارشـال لا تربطـه رابطـة ثقافـة أو ديـن أو تـزاوج بأفارقـة زنجبـار. فمـا يجمع بين غالبيـة الزنجباريـين الأفارقـة والزنجباريـين العـرب فـوق مـا يجمعهـم مـع الثـوري مـن شـعب اللانقا اليوغنـدي. ولكـن الـذي كان على المحك في تلـك الثورة هـو السـيادة العرقيـة لا السـيادة الوطنيـة. فـإذا ما حكمنـا قواعـد السـيادة الوطنيـة كان الشـيخ عـلى محسـن، قائـد حـزب زنجبـار الوطني الـذي أطاحت الثـورة بحكمـه، أكثـر زنجباريـة مـن جـون أوكيلو. ولكـن متـى طبقنـا قواعد السـيادة العرقيـة فحقيقة أن أوكيلـو أفريقـي في معنـى أنقي وأدق من محسـن

والسلطان كليهما هي الحقيقة المقدمة. فاللانقي اليوغندي الفيلد مارشال في جزيرة القرنفل كان رمز الأفريقية الخالصة.[1]

وكانت سياسة زنجبار من فرط استقطاب «العرب» و «الأفارقة» قد تجمدت على خلاف عظيم تهيأ غريب زنيم لفض عقده بإراقة الدم على جوانبه. وكان ذلك هو الفيلد مارشال أوكيلو.

الفيلد مارشال، الغريب الزنيم:

وأعرض في هذا الجزء من الورقة بروفايلاً» للفيلد مارشال جون أوكيلو كغريب زنيم استدعاه تاريخ زنجبار ليلعب دوراً ثالثاً لا مكان له في دراما مفروض أن تقتصر على لاعبين اثنين: أفارقة زنجبار وعربها. ولن نرى في هذا البروفايل طفيلية الفيلد مارشال الفادحة الدامية فحسب بل كيف انتهى دوره الزائف في لمح البصر وخرج من المشهد يجرر أذيال الخيبة.

جون أوكيلو أوغندي الأصل هجر التعليم في بدئه بالصف الرابع الابتدائي بسبب وفاة والديه. ثم تقلبت به المهن وترحل في البلاد حتى بلغ زنجبار عبر كينيا في ١٩٥٩م. وأحتك في كينيا بالحركة الوطنية على أشدها خلال خمسينات حركة الماو ماو بعنفها وعنف الإنجليز المضاد الفظيع في كسر شوكتها. وكان شديد الاعتقاد بأن

(1) Glassman, 300.

زنجبار أفريقية أعطاها لهم الله القوي ولكن تهافت عليها البرتغاليون وبعدهم العرب بدعم من الإنجليز. وسيذهب الإنجليز ولكن العرب يدعون أن الجزيرة لهم إلى قيام الساعة.[1]

وانعقدت لأوكيلو خلال هذه الرحلة مهمة «المخلص» للأفارقة من نير الاستعمار الغربي والرق العربي عبر رسائل من رؤى انتابته في نومه. وبداية تلك الرؤى ما طرأ له في ممباسا. وكان عربي ما أحسن إليه بموضع للمبيت ذات ليلة ولكن حذره من الشخير. وأردف تحذيره بقوله له: «يا عبد» كما مر. وحلم ليلتها بمن قال له إنك ستعبر إلى جزيرة بالمحيط الهندي ونبهه إلى أن يحذر لأنه سيعاني الأمرين على يد أجانب[2]. وعاودته الأحلام وهو يستشفى في مركز طبي فقال له القائل إنك لن تموت لأن الرب منحك القوة لتستنقذ السجناء والرقيق وأن تجعل من لا يفقهون يفقهون.[3]

وتلك السفرة التي رآها في الرؤيا هي التي أخذته إلى جزيرة بمبا من زنجبار. فعبر المحيط إليها عام ١٩٥٩م. وغالبهم الموج في القارب الذي أقله للجزيرة فدعاه العرب أن يصلي معهم طلباً للسلامة فرفض. ورآهم يرمون برقيهم في الماء فما أجدت. فصلى هو لربه فانخفض الموج وسلم الركاب[4]. وذكّرنا كليتون بأن أوكيلو إنما يترسم

(1) Okello, 102.

(2) Okello, 62.

(3) Okello, 66.

(4) Okello, 68-69.

في رحلتـه تلـك خطى سـنت بـول الذي لاقـى الأمرين مـن البحـر في سـفره لمالطـا[1]. ثـم وطـن أوكيلو في رسـوليته في بمبـا حـالان: مـرض معاود وصـلاة مع طائفـة الكويكـرز التـي قـال إنهـا عمدتـه طفـلاً في ١٩٣٧م وسـموه قيـدون مما مكـن لصورته كمخلص يـدق أعنـاق الكفـرة[2]. ولاحقـاً كان يُرهِـب، في قوله، خصومـه مثـل بابو، زعيم حـزب الأمة، وغـيره بزعمه أنـه تلقى تكتيـكات الثورة عـن الإنجيـل ويفخر بأنه قـادر عـلى تفسـير الأحـلام وأنـه كان قائـداً لكتيبـة للمامـاو ثـوار كينيا الذيـن قاتلوا المسـتوطنين البيض في الخمسـينات الأولى لاسـترجاع أرضيهـم منهم.[3]

ومـا اسـتقر في بمبا حتى استشـعر مهمتـه، التي صقلتهـا تربيتـه السياسـية خـلال إقامتـه بنيروبي، وصـار يجتمـع بالأفارقـة ويحرضهـم عـلى التناصر ضـد العـرب[4]. وعاودتـه الرؤيـا خلال ذلك النشـاط السـياسي فجـاءه مـن يحثـه عـلى الثبـات في المهمـة قائـلاً إنـه لـم يُخلـق أحـد ليكـون عبـداً وأن مـن صـاروا رقيقـاً صـاروه بغـير إرادتهـم. وزاد بـأن الـرب، الـذي خلقـه بغـير أب أو أم، خصـه بتوثيـق عُـرَى جماعتـه الأفريقية واسـتنقاذها[5]. ولمـا قرر أن يسـير إلى زنجبـار وجد فكـرة الثورة التي هيأ نفسـه

(1) Clayton, 51.

(2) Okello, 52.

(3) Clayton, 86, footnote 71.

(4) Okello, 72.

(5) Okello, 73.

لهـا في رسـالة سـنت جيمس بفصـليّ الإنجيـل الرابع والخامـس. وحـوت الرسـالة اللعنـة عـلى الأثريـاء وكنزهـم المال مـن عرق عمالهـم وإتباعهم شـهواتهم ونسـيانهم الرب الذي سـيأتي لا شـك. وعـدّل أوكيلو في النـص تعديـلاً أثبـت قيامه بـه في هامـش الكتاب. وفي نـص التعديـل هجوم عـلى الإمبرياليـين والزانيات والزنـاة، عـداة الوطـن، الذيـن يوادونهـم. فمـن واد الإمبرياليـين عـدو للوطن.[1]

وجاءتـه رؤية خـلال إعـداده للقوة التي سـتقوم بالثـورة طلب فيها الـرب منه أن يقـوم بطقس يمكن لـه في الأرض. فقـال لـه الـرب: «جون أوكيلـو انهض وأخـرج إلى النهـر المتحدر في متونـي (موضع بجزيرة أنقوجـا بزنجبـار) ولا تخـشى أحـداً. أدخـل النهـر برجلـك اليمنى وأمـش خطوتين واتجـه لليمين وأمش يـاردات ثـلاث وأنحني وأنـشر يـدك اليمنـى في الماء. وخـذ الـشيء الأول الـذي تتهبشـه. وسـتجده حجـراً ألوانـه أسـود وأبيـض وأحمر. فعـد بـه إلى بيتك ولن يمـر بك أحـد حتـى تبلـغ دارك. فـإذا كنـت في بيتك خـذ قطعة من كل لون مـن الألوان الثلاثـة واطحنهن حتـى يصرن مسـحوقاً. فصـب مـاء في زجاجة وضع المسـحوق فيهـا وأغلقهـا جيداً. ثـم خذ بقيـة الحجر وضعـه في مـكان آمـن وغطه بقماشـة سـوداء تكون ثقبتهـا من قبـل ليبلـغ الهواء عـبر الثقب تلـك البقع السـوداء عـلى الحجـر. ثـم خـذ الحجـر ولفـه جيداً وأذهـب بـه إلى ضفـة نهـر فيكونقونـي بالقـرب من

---

(1) Okello, 86-87.

دارك وأتركه هناك وعد لدارك وأخلد للنوم».

ولما صحا أوكيلو بعد الحلم لم يفهم مفرداته ولكن نفذه بحذافيره. ولما نام ثانية حلم بمن يقول له: «أمر رجالك لقتل قطة سوداء وكلب أسود. والشرط أن يكونا سوداوين لا يفسد سوادهما لون آخر. ولا تقتلهما بالعصي أو الأحجار بل اقطع عنقيهما حتى يسيل الدم في إناء فخاري يكون أسود أيضاً. فهَشِّم الرأسين وخذ المخ وأمزجه بالدم في الإناء[1]. وأضف لهذا الحجر الذي سحقته وخلطته بالماء مقدار نصف زجاجة منه. وقال له الحلم إنك ستدعو رجالك للقفز ثلاثاً من فوق هذا المزيج، الذي ستصبه عبر الشارع الذي سيقطعونه خلال القتال. فالحجر يمثل الأفارقة تحت حكم العرب والأوربيين، والدم هو للأفارقة الذين ماتوا قبل نخاسة العرب وخلالها، والدم الذي سيقطر من الاستعماريين أنفسهم، ولن يأت ذلك الدم من أيدي رجالك أو منك. ويمثل نزيف المخ بسالة الجنود الذين سيقاتلون معك. وأما الحجر الذي أخفيته فهو مصدر قوتك وشجاعتك. فلن يقدر أحد على إيذائك. وحذّره أن يكشف مفردات ذلك الطقس لجنده إلا بعد الثورة. وقال له رجل الرؤيا إنه كشف له مسار الطقس لأنه رأى عمق خاطرة قلبه وجهده الذي سينقذ به شعبه. وجعل أوكيلو جنوده ينطون الدم كما أمر الحلم مع القسم بأن يقاتلوا حتى الموت. وقال أوكيلو إنه استغرب لأنه لم يجد الحجر المؤمن حين بحث عنه بعد الثورة.[2]

---

(1) Okello, 133.

(2) Okello, 133.

واجتذبت أوكيلو السياسة في زنجبار وصار عضواً في الحزب الأفروشيرازي. واشترك بحماسة يدعو لحزبه في انتخابات يناير (١٩٦١م)[1]. وكان من رأيه أن حزب زنجبار الوطني الداعي للاستقلال التام إنما يتذرع به ليفرض هيمنة العرب[2]. وسمى ذلك استبدال سيد بسيد[3]. ولذا كان يركز في خطبه على التخلص ممن استعمروا أفريقيا جميعاً[4]. وطلب أوكيلو الاستقلال عن الإنجليز، خلافاً لقادة الحزب الأفروشيرازي، ليخلص له الصراع صافياً: أفارقة ضد عرب. ووجد الأفارقة في خطبه إلهاماً لأنهم كرهوا تصويت بعضهم للعرب ووثقوا فيه بأنه الخبير برفع لعنة الاستعمار العربي الذي يطأهم بظله الثقيل[5]. وتبين لأوكيلو أن شقاق الأفارقة حيال العرب، الذي يُقسِم قادتهم، هو الذي يحول دون ثورة الأفارقة في زنجبار. وكان الأفارقة بحاجة إلى قيادة بديلة تحل محل قادتهم الغارقين في خلافاتهم.[6]

ثم أخذ أوكيلو يعد للثورة بين النقابات التي كان طرفاً فيها[7] وبالتعاون مع قطاع الشباب بالحزب

---

(1) Okello, 79.

(2) Okello, 80.

(3) Okello, 85.

(4) Okello, 80.

(5) Okello, 87.

(6) Okello, 93.

(7) Okello, 99.

الأفروشيرازي[1]. وجاء في كتابه بصور من مكاتباته مع زعيم قطاع الشباب بالحزب، سيف بكري. وعرض عليهم إسقاط نظام السلطان بالقوة وأن لا يطلعوا زعيمهم كرومي على الخطة خشية أن تنفضح ويتحمل التبعة[2]. وظل يبشر في لقاءاته ألا يجهل الأفارقة حقيقة أنه لم يعد ثمة سبيل للحرية سوى سفك الدم[3]. وصار يحظى من أنصاره بلقب «المخلص»[4]. ومن بعض أحاديثه للتعبئة تذكير جمهوره بالأغلال التي صفدتهم خلال حقبة النخاسة وبمقابر أجدادهم التي ما تزال شاهدة على قسوة العرب: «لقد انصب دم أجدادكم تحت حكم العرب أفتريدون أن ينصب دم أبنائكم بنفس الطريق؟» وكان يذكرهم بأن أرحام جداتهم كُن يفتحن لترى المرأة العربية كيف يقبع الجنين بين جنباتها. ويسألهم إن كانوا يعلمون أن سلفهم ذُبح تحت تلك الأشجار حتى ترى نساء العرب كيف يسقط الرجال صرعى وموتى. وكان يسأل سامعيه: "أليس هذا هو الموضع نفسه الذي شهد ضيم أجدادكم؟»[5]. ثم وجههم لطرق الثراء عن طريق نهب متاجر العرب. «فستكون لكم متى ما قاتلتم لوضع يدكم عليها»[6].

بعد عرض للسبل التي استولى بها على

(1) Okello, 100.

(2) Okello, 101.

(3) Okello, 105.

(4) Okello, 107.

(5) Okello, 92.

(6) Okello, 92.

السلطة في زنجبار قال أوكيلو إنه بدأ في تكوين حكومة الثورة عند ظهيرة يوم الثورة يوم ١١ يناير ولم يحرص أن يكون رئيسها[1] بل عقد الرئاسة لكرومي واكتفى بقيادة الثورة ووزارة الدفاع. وتشكلت الحكومة من أعضاء من الحزب الأفروشيرازي ماعدا بابو زعيم حزب الأمة الذي بعضه عربي. واستدعاه من تنجانيقا لأنه لا يريد له أن يعاني خارج زنجبار. علاوة على أنه كان قد انقسم على حزب زنجبار الوطني الحاكم قبل الثورة فكَسبُه للنظام الجديد خطة طيبة لوضعه تحت الرقابة.[2]

وعاد كرومي، الذي سبق أن قال أوكيلو إنه هرّبه لدار السلام فجر ليلة الثورة بغير أن يعرف ما في الخبيئة، للجزيرة بعد إن أخطر نايريري بأن الوقت قد أزف ليعود الزعيم بالنظر إلى وضعها الآمن. فعاد هو وبابو بطائرة حكومية (تنجانيقية) وحفهم لدى وصولهم جند أوكيلو يهتفون بالسواحيلية «الحرية والجمهورية»[3]. واستقبلهم أوكيلو وقال لهم إن تحريره لزنجبار هو البداية لتحرير كامل أفريقيا التي شغلت استراتيجيات الأمريكان والإنجليز. فوافقه كرومي بقوله إن زنجبار كانت سوقاً كبيراً لتجارة البشر بطرق لا يدرك كنهها سوى الله. وأضاف أن الزعيم شكره

(1) Okello, 147.

(2) Okello, 149.

(3) Okello, 166.

على مبادرته التي قال إنه يستعصي على المرء فهمها. وسجد بابو على الأرض أمام أوكيلو لأنه ليس بوسعه أن يعبر عن شعوره بالكلمات. فطلب منه أوكيلو أن ينهض. وأخذ كرومي للإذاعة ليقدمه كرئيس لجمهورية زنجبار الشعبية. وتحدث كرومي فشكر الفيلد مارشال الذي ساقتهم حكمته إلى غاية ما كان بوسعهم أن يبلغوها لوحدهم[1]. ثم اجتمع أوكيلو وكرومي وحدهما. وتجسد في اللقاء اعتقاد كرومي أن دافع أوكيلو للثورة ليس الوطنية الزنجبارية وإنما المنفعة. فسأله كرومي عن المرتب الذي يطلبه للخدمة. فرد أوكيلو بمرجعية سياسة أخرى هي مرجعية الجامعة الأفريقية. فقال إنه لا يطلب أجراً لخدمته لأفريقيا ويفضل أن تناقش مسألة المرتبات في مجلس الوزراء.[2]

لم يكن أوكيلو، الذي ظن أنه محرر أخوته الزنجباريين ومخلصهم من قيد الرق، سوى أجنبي لا مكان لهم في إعراب سياسة زنجبار ولا عقائدها[3] كما رأينا في حديث المزروعي وتايدي. ولا يبدو أن رواية أوكيلو عن لقائه بكرومي كما وصفه مما يؤخذ على عواهنه. فالعلاقة بين كرومي وأوكيلو ساءت ربما من يومها الأول. والبادي أن زنجبارية كرومي أمضها شعواء الغريب الزنيم مبعوث العناية الإلهية لاستنقاذ الزنج من العرب. فلربما

(1) Okello, 167.

(2) Okello, 168.

(3) Martin, 58.

ضغط كرومي على أوكيلو ليوقف حمامات الدم فأجبره ليذيع في ١٤ يناير نداء لعصبته أن تكف عن الحريق والنهب والقتل وإلا عوقبوا بقوة[1]. ومن رأي كليتون أن عودة كرومي، الوجه الزنجباري الوطني، إلى الجزيرة كان بداية العد التنازلي لأوكيلو. فتجمعت قوى الحزب الأفروشيرازي، التي لم تشترك في ثورة أوكيلو، حول كرومي. وبدا نجم أوكيلو يأفل. فمناصروه من البر الأفريقي أحسنوا القتال ولكنهم ليسوا مؤهلين لإدارة دولة. ناهيك أنه قام بثورة في بلد هو كافر بربه المسلم وفي وقت إسلامي مقدس هو شهر رمضان. فأنتهز كرومي المناسبة الدينية ليوجه كلمة إلى الزنجباريين ليس في وسع اوكيلو تقديمها إلا بشق الأنفس. ومن سخرية التاريخ أن الكلمة بلغت أفئدة الزنجباريين قاطبة إلا أوكيلو قائد الثورة التي دقت بين شعب الجزيرة إسفيناً. بل وبدا كرومي بخطابه عن رمضان كمن يرسم الفاصل بين الوطنية الزنجبارية والعرقية الأفريقية الزنجية. وزاد كرومي بأن طلب شرطة من جوليوس نايريري، رئيس تنجانيقا، وجاءته لأنه كان يريد أن يتقوى بها على أوكيلو المدجج بعصبه من بر أفريقيا. وبدا أن كرومي وبابو اتفقا على إزاحة أوكيلو. فبعد أن تمردت عصب الأخير خلال عطلة الأسبوع الأول للثورة وجه كرومي آمر الشرطة البريطانية ألا يتلقى أي أمر من أوكيلو.

وكان ما أضعف أوكيلو في ساحة الثورة حقاً

---

(1) Clayton, 84.

أسفاره خارج زنجبار التي رتب كرومي وحلفاؤه أن تكون طريقاً لعزله عن مجريات السياسة في البلد وأن تنتهي بنفي إجباري. وكانت سفرته في ٢٠ فبراير إلى دار السلام هي قشرة الموز التي تزحلق منها إلى حيث جاء: من بر أفريقيا. وكذلك تخلص كرومي من مساعد الفيلد مارشال المدعو إنجن الذي سلخ جلد شرطي إطفاء تقدم عليه في الدرج. وكان هذا فوق ما يحتمل كرومي فأبعده بنهاية فبراير ١٩٦٤م.[1]

وكان نايريري مطلعاً على ما بين كرومي والفيلد مارشال. فخلال سفرة لأوكيلو إلى تنجانيقا في ١٩ يناير ١٩٦٤م لغرض العلاج التقى نايريري ووزراءه. ونصحه نايريري، الذي ربما تكاثر عليه الضغط الدولي لعمل شيء بخصوص حمامات دم الفيلد مارشال، بأن يمتن علاقته بكرومي. وثار تمرد للجند التنجانيقيين ليلة أوكيلو تلك بدار السلام أيقظه من نومه ووضح له أنهم جنود لم تصرف لهم رواتبهم. ولم ينجح في لقاء نايريري أو نائبه في صباح ذلك اليوم التالي لأنهما كانا في حرز حريز من التمرد. وقال أوكيلو إنه خطب في المتمردين قائلاً إنه يشعر بغبنهم ولكنهم كجند مطلوب منهم الانضباط. وطلب منهم، باسم ثورة زنجبار، إلقاء السلاح. وردوا له التحية بأحسن منها وقرروا وقف التمرد. وعَلِم بأن العرب في تنجانيقا قتلوا ٦ أفارقة. وأخذ طائرة وعاد للجزيرة. واستقبله كرومي. ثم سافر إلى بمبا وفتشها ووجدها هادئة. وهتفوا له

(1) Clayton, 94.

فيها بحياته. وعقدوا اجتماعاً للمجلس الثوري كونوا فيه مجلساً للوزراء فيه أوكيلو. ورفض أن يحصل على مرتب قدره ١٠ ألف شلناً واتفقوا أن يكون راتب عضو مجلس الثورة ٨٣٣ شلناً شهرياً بينما تصاعدت مرتبات الوزراء ونائب رئيس الجمهورية والرئيس.[1]

وصف نجيب رياض الريس ثورة زنجبار بأنها «أقل الثورات نفعاً في التاريخ»[2]. ولعل من وجوه عبثيتها المرة أن من أوائل ضحاياها زعيمها جون أوكيلو. فبعد نحو خمسين يوماً فقط في سدة القيادة تدحرج إلى الحضيض وصار غير مرغوب فيه لا في زنجبار وحدها بل في تنجانيقا وكينيا وأوغندا. وأخذت شرطة تلك البلاد تأخذه من حراسة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر لنقص في أوراقه الثبوتية وهو الذي كان يلقى رؤساءها ويتقلب على طائراتهم. وحكى أوكيلو محنته في البر الأفريقي بما يُشَفِق القارئ حتى على هذا الرجل ذي اليد الملطخة بالدماء. فسيسوء القارئ ختل من ورثوا ثورته مثل كرومي أو استثمروها مثل نايريري واعتزاله بلؤم لئيم. ولم يكونوا، وهم في منازلهم القيادية السيادية، بحاجة إلى خبائث مثل التضييق عليه بالأوراق الثبوتية.

تحدث أوكيلو في كتابه عن مؤامرات باكرة جداً حيكت لعزله وعزاها لكونه من أفارقة البر وأنه مسيحي أوغر صدور قوم مسلمين ضمن أشياء

---

(1) Okello, 171-176.

(2) الريامي، ٥٠٤.

أخرى مثل الحسد. وقال إنه تلقى رسالة يوم ٢٤ يناير تنبهه إلى أن سلوكه مناف لسلوك زنجبار الأصلي وعابت عليه احتكاره صنع الثورة. وزادت بأنه كافر تقدم ركب مسلمين وأن نشاطه أدى إلى قتل كثير من الناس المسلمين[1]. وطلب منه الخطاب أن يستعد للرحيل. فبابو مسلم وكذلك كرومي ولا مكان له بينهما. واشتبه أوكيلو في أن الخطاب مرسل من حزب زنجبار الوطني المحلول. ثم كانت بدية نهايته خلافه مع كرومي حول سياسة الأرض. فكرومي يريد للحكومة الاستيلاء على الأرض غير المعمرة بينما أراد أوكيلو تأميم الأرض قاطبة كوعد للثورة قطعه في خطبه بالراديو.[2]

وغضب أوكيلو لما كان يقع لأفارقة البر من ضروب الاضطهاد. فقال إنه في اجتماع لمجلس الثورة بتاريخ ١٦ فبراير أساء أحد شباب أعضائه (وكان هو الذي عينه في المجلس) لأفارقة البر. وصار يوقن أن أفارقة زنجبار يجتمعون من وراء ظهره ويسيئون إليه. وعاد يوماً من زيارة ما ليعلم أن رائداً من كينيا بالشرطة من منفذي الثورة قد طُرد من الجزيرة بغير تحقيق ولا تشاور. وصار يرى الحزازة والعداء ضد الشرطة ممن أصلهم البر الأفريقي. وقال له شرطي من كينيا إنه سمع عضواً من مجلس الثورة يقول لفتاة عربية إن

---

(1)Okello, 177.

(2)Okello, 177-178.

أوكيلـو أجنبـي ماكـر[1] وسـيكون من الصعـب قتله ولكنهم سـيقومون بأشـياء أخرى للخـلاص منه. فبث أوكيلـو العيـون واتضح لـه أن عداء أعضـاء بالمجلس الثـوري لـه كان كبيراً. فقـرر أن يذهب للـبر الأفريقي ليناقـش مـع زعمائهـا تلـك المؤامـرة. ولكـن كرومي طلـب منـه أن يبقى[2]. وفـسر أوكيلو ذلـك بأن وضع كرومـي كان مجهجهـاً ويريـد لـه أن يبقـى بزنجبار حتـى يتقوى به. فسـافر أوكيلـو في ٢٠ فبراير وودعه كرومـي والمجلـس الثـوري. ولما بلـغ نيروبـي قيل له إن جومـو كنياتـا ووزراء آخريـن يـزورون ممباسـا. فقـرر أن يـزور أوغندا لفـترة وجيزة لـيرى أخته. ولما نـزل في المدينـة القريبة مـن قريته وعرَّف نفسـه قيل لـه إن بوليـس كمبالا يطلـب منه أن يمـضي إلى عنتبي التـي رحـب به فيهـا ملتـون أبوتـي رئيس الـوزراء. ثـم عـاد إلى كينيـا[3]. وفي نيروبـي أخـذه اثنـان مـن رجـال المخابـرات مـن فندقـه إلى المطار لأنـه مطلوب أن يكـون في زنجبـار. وفي الطريـق إليـه وصلتهمـا رسـالة بـأن يعـودا بـه إلى نيروبـي التي انعقـد فيها اجتمـاع ضـم كنياتـا وأبوتـي وأودنقـا أودنقـا نائب كنياتـا. فرحبـوا به وسـألوه عـن أحوال زنجبـار وإن كان عـلى وفـاق مـع كرومـي. فقـال لهمـا إنهما على وفـاق ولكـن ثمة «أفاع» تفسـد مـا بينهمـا. فكرومي يرخـي لهـم أذنـه يظـن أنهـم أهل ثقـة يتجمـل بهم

(1) Okello, 197.

(2) Okello, 180.

(3) Okello, 181.

مثل ربطة العنق ولكنه لا يدري إنما يربط أفعى حول عنقه. فسألوه أن يذهب ويبقى بدار السلام حتى يصلوا إلى غاية حول المسائل التي أثارها عن أوضاع الثورة وكرومي الذي سيصارحهم بجلية نفسه طالما سألوه عنها وأوكيلو بعيد عنه[1]. وقال رداً على أسئلتهم إنه يرغب أن تنضم زنجبار لاتحاد دول شرق أفريقيا وفي النظر في ترتيبات دفاعية معهم وأنه لم يتلق عوناً من أي دولة ولا يرغب أن يكون رئيساً لزنجبار وأنه شديد الثقة والدعم لكرومي.[2]

ومن كتاب أوكيلو يتضح أن قادة شرق أفريقيا صاروا يخشون أوكيلو. ففي حديث خاص مع كنياتا سأله لماذا مر بنيروبي إلى أوغندا ولم يلقه. وحدثه أن كثيراً من الناس قال له إن أوكيلو سيعصف به. واعتذر أوكيلو عن عدم اللقاء بكنياتا لغيابه عن نيروبي. وتساءل في الرد على كنياتا قائلاً لمن سيعطي حكومة كينيا متى أسقطها. فهو قد أسقط حكومة عربية ليسلمها لأفريقيين. وقال كنياتا إنه بالحق لا يشك في نوايا أوكيلو الطيبة نحوه.[3]

وبدأ قلب ظهر المجن لأوكيلو حين بلغ دار السلام. فأخطرته فيها لجنة اتصال شرق أفريقيا أن يعود لزنجبار وأن كرومي حسن النية تجاهه ويريد

---

(1) Okello, 182.

(2) Okello, 183.

(3) Okello, 183.

التعاون معه. ولكن سرعان ما بعث نايريري له برسالة أن يبقى في دار السلام ليقابل كرومي القادم من الجزيرة. وفي الأثناء حملت صحيفة محلية نبأ عن أن أوكيلو أعلن كشخص غير مرغوب فيه في الجزيرة[1]. وعدّ النبأ من سقط القول. وأكد له وزراء تنجانيقيون كذب النبأ. وأنتظر أوكيلو مجيء كرومي ولكنه لم يأت. فأراد أن يعجل بالذهاب إلى زنجبار بطلب الإذن من نايريري ولكنه كان غير موجود. فسافر إلى زنجبار فلقيه كرومي وأعضاء مجلس الثورة مسلحين بالطبنجات. ولم يستغرب ذلك. واعتذر كرومي له بأنه لم يلقه في دار السلام بالنظر إلى أن الطائرة المفروض أن تقله لم تأت. وطلب منه أن يذهبا معاً إلى دار السلام تواً لأنهما سيناقشان مسائل أمنية للثورة. وكاد أوكيلو أن يعتذر عن ذلك لسوء صحته ولكنهم قالوا له إن نايريري أرسل طائرة خاصة للغرض.[2]

وبدا لأوكيلو التغير تجاهه وأن أمراً ما يطبخ ضده. فلما ودع أعضاء مجلس الثورة كان على وجوههم تعبير مريب. وبدا له أيضاً أن كرومي ونايريري ربما كان لهما تدبير ما. وعلم أنه جاء الوقت ليشقى بيد الأفارقة بعد أن أحسن إليهم. ومن خواطره آنذاك: «لو زعم أياً منهم أنه كان معي خلال التخطيط للثورة والتفكير فيها فليتقدم وليشرح الأمر. فالرب القوي وحده يعلم ما جرى بزنجبار. فهو أعين على الثورة كرسول من الرب.

(1) Okello, 180.

(2) Okello, 185.

فالرب وحده أعانه للسيطرة على الوضع واستئصال الإمبرياليين من الجزيرة»[1]. وحين بلغت الطائرة دار السلام لاقاهم نايريري الذي حيا كرومي واعتزل أوكيلو. وأخذوا كرومي إلى بيت الضيافة وأوكيلو إلى فندق كان به صباح نفس اليوم[2]. ونقلوا كرومي بسيارة دولة بينما نقلوه بلاندروفر. ولما استدعوه للقاء نايريري بحضور كرومي أشار نايريري إلى خلافاته مع كرومي التي جاءوا لحلها. وسأله إن كانت الحكومة في زنجبار حكومته أو حكومة كرومي. فكان رده أنها ليست له أو لكرومي وأنها حكومة شعب زنجبار. وأنه وكرومي خدامه لوقت انتقالي معلوم. بل ضرب لنايريري مثلاً بنفسه. قال له إنك رئيس تنجانيقا ورئيس حكومتها ولكن تلك الحكومة ليست لك. وبعدها تطرق نايريري لخطاب أوكيلو العدائي الشرس بالراديو.[3]

وبرر أوكيلو عنف خطابه بأن حكومة زنجبار التي أطاح بها جاءت بالعنف لا الانتخابات ولذا

(1) Okello, 186.

(2) Okello, 187.

(3) (Lockwood, 22).

ـ من خطبه: «الحكومة الآن نحن من يصرف أمرها. ولنا قوة ٩٩ مليون و٩٩ ألف. وسأتخذ إجراءات قوية أشد ٨٨ مرة مما يجري حالياً. أنا فيلد مارشال أوكيلو. أفيقوا أيها الإمبرياليون فهذه حكومة المقاتلين من اجل الحرية. استيقظ أيها الرجل الأسود. وليأخذ كل منكم بندقية وليبدأ في القتال». وقال لسلطان زنجبار المخلوع عبر الراديو: «مأذون لك بعشرين دقيقة لتقتل أطفالك وزوجاتك وتقتل نفسك في خاتمة المطاف». وكان أوكيلو يفخر بقدرته على تزويد جنده بالسلاح. فقال إنه يمكن أن يوفر ٥٠٠ بندقية يومياً و١٠٠ لغم كل ساعة. كما فخر بخلوده: «أنا فوق الحكومة ولا يمكن أن أموت».

كانت الإذاعة وسيلتهم الميسرة لمخاطبة الناس وليعرف العالم قاطبة بأخبار الثورة. فألتفت نايريري إلى كرومي وسأله إن كان سمع ما قاله أوكيلو. فقال إنه سمعه وهو منشرح للتعامل مع أوكيلو ولكنه لا يعرف لماذا كره علاقته بعبد الرحمن بابو بينما وهو الذي دعاه من دار السلام لزنجبار بعد قيام الثورة. وخلص نايريري إلى أن إجابات أوكيلو مقنعة له ولكنه منزعج لبعض خطبه في الراديو. وأنهى الاجتماع لينعقد في الثامنة من صبيحة الغد. وأدرك أوكيلو أن ثمة صراع حاد حول السلطة قد نشب في زنجبار وأن هناك من يريد أن يعلو على الآخرين. وأدرك أن نايريري عازف عنه لأنه سيكون حجر عثرة في طريق وحدة تنجانيقا وزنجبار طالما كان هواه مع كينيا.(1)

ثم بدأ مسلسل إهمال أوكيلو. فلم يأت أحد لأخذه للاجتماع مع نايريري. فمضى راجلاً لرئاسة الجمهورية. فقيل له إن نايريري لم يأت. فأخذوه بلاندروفر إليه حيث كان يحضر بدء تدريب مجندين جدد. وانفض الجمع فور وصوله. وركب نايريري وكرومي سيارة اتجهت نحو المطار فتبعهما ليرأى كرومي يركب طائرة إلى زنجبار. وطلب منه مسؤول تنجانيقي أن يبقى هو في دار السلام لاجتماع خاص مع نايريري. وزار في بقية اليوم مواقع مختلفة مع نايريري. وبنهاية اليوم في المساء وعد نايريري أن يراه في الغداة. ولما

(1) Okello, 189.

أصبح الصبح وذهب ليقابله قيل له إنه مشغول وسيراه في غضون الأسبوع. ولم يحدث ذلك بينما ظلت الصحف[1] تكتب عن نفيه عن زنجبار. ثم استدعوه ليقابل نايريري بعد أسبوع. ولما اجتمعا قال له نايريري إن كرومي كلفه أن يقول له إن عليه أن يذهب لأهله في أوغندا لستة شهور حتى يُبت خلالها في موضوع عودته إلى زنجبار. فأحتج أوكيلو واستغرب أن كرومي لم يصارحه بنفسه بذلك. وتساءل عن ماهيته وأشيائه بزنجبار. فقيل له أن مسؤولاً منهم سيسافر لزنجبار وسيعتني بالأمرين. فطلب أوكيلو طائرة ليذهب لزنجبار ولكن نايريري رفض وقال بحزم إنه لن يسمح له بالعودة إلى زنجبار. فسأله عن السلطان الذي له عليه فقال له سلطان من أنت في بلد هو رئيسها. وطلب منه أن يكف عن الملاحاة. وسيدفع له ثمن تذكرة السفر إلى كينيا وبوسعه العودة إلى تنجانيقا في وقت لاحق. وتحدث أوكيلو إلى المسؤول المسافر للجزيرة أن يأتيه بأجر ٣ أشهر وأن يبحث عن ملابسه وأثاثاته ومدخره. ولما عاد المسؤول في المساء جاءه بشنطة ملابس كان تركها في مطار زنجبار لأمسه ليعود بالقوة مع كرومي إلى تنجانيقا[2]. ولم يأت المسؤول بثمة خبر عن أجره ولا أشياءه. ولم يسمع عنهما بعد ذلك أبداً. وطلب منه كامبونا، وزير الدفاع القوي في تنجانيقا، السفر معه إلى

(1) Okello, 190.

(2) Okello, 191.

نيروبـي ودفـع لـه ثمـن التذكـرة. فوضعـوا كمبونـا في الدرجـة الأولى وأوكيلـو في الدرجـة السـياحية. وفي نيروبـي اسـتقبلهم وزيـر الدولـة مورمبـي بمجلس الـوزراء في صالـة كبـار الـزوار. فأخـذ كامبونـا إلى مـكان مجهـول في حـين أخـذوه إلى فنـدق. ولـم يلق مورمبـي أبـداً بعـد ذلـك. وانتظـر في الصبـاح ليرى كمبونـا فلـم يـأت. وحـين رجـع إلى الفنـدق وجدهم أخـذوا حقيبتـه مـن الغرفـة وقالـوا له سـتبقى فيها متى التزمت بسـداد فاتـورة الإقامة. ولـم يكن بجيبه سـوى شـلن ونصـف. ووصف ذلـك بأنه تطور شـاذ للأمـور. ولـم ينجح في لقـاء رئيـس الـوزراء، كنياتا، أو أي وزيـر آخـر. وبقـي في برنـدة الفنـدق يرجـف مـن الحمـى. وجـاءه في السـاعة الواحـدة صباحـاً وكيـل وزارة الأمـن الداخلي، كويتاي، فـشرح له حرج أمـره ووعـد بـأن يتحـدث بـه إلى مورمبـي فـوراً[1]. ولكـن كويتـاي تحفـظ قائـلاً إن حكومـة كينيـا لـن تلتـزم لـه بعـون مـالي أو بثمـن التذكـرة. وفي محنته تلـك لقـي أوربيـاً في السـاعة الواحـدة والنصف فبره بمائة شـلن بعد سـماع مأسـاته. وقال إنـه ممنون له وسـتذكر عظامـه، متـى توفي، فضلـه. وعـاد كويتاي وقـال لـه سـنرحلك لفنـدق آخـر خـارج المدينـة. وأخـذوه في سـيارة حكوميـة. ومـا بلغ الفنـدق حتى تفاقـم مرضـه وداواه طبيب آسـيوي لأيـام بطلب من صديـق لـه. وقـرر أن يلقـى مورمبي فوجـد كويتاي الـذي ناولـه رسـالة باسـمه بعنـوان فندق اسـتانلي

(1) Okello, 192.

بتاريخ ١٣ مارس ١٩٦٤م: «سيدي، أنا مأمور من السيد وزير الدولة في مكتب رئيس الوزراء بأن رئيس الوزراء قد وجه بأنه مسموح لك بالوجود في نيروبي بحر هذا اليوم وممنوع خلال الفترة أن تعقد أي مؤتمر صحفي أو تعقد أي اجتماعات عامة. وأضيف أنه مطلوب منك أن تغادر القُطر بأول طائرة غداً صباح ١٤ مارس ١٩٦٤م. التوقيع كويتاي».[1]

واحتج أوكيلو بالفلس دون سفرة الغد ولكن كويتاي قال له إنه لا دخل له أو الحكومة بذلك ومطلوب منه تنفيذ الأمر. وودعه وانصرف. وفكر أنه ربما كان كامبونا، بإيعاز من نايريري، هو من ناقش مع الكينيين أن يعتبروا أوكيلو شخصاً غير مرغوب فيه.[2]

ولا تظهر عبثية ثورة أوكيلو بأقوى من عباراته هو نفسه عن خيبته الكبرى لقيامه بالثورة حتى عض بنان الندم على ارتكابها. فقال إنه نظر إلى السماء، بعد أن صار شخصاً غير مرغوب به في شرق أفريقيا بعد نحو ٥٠ يوماً من قيامه بثورة هزت عرش العرب، فوجدها أقصى من أن تُنال فنظر إلى الأرض فوجدها أثقل من أن تُحمل. فما يفعل؟ فحتى المائة شلن كان قد تصرف في بعضها. وقدر أن يذهب إلى أوغندا راجلاً فلو قبضوه لعدم تنفيذ الأمر تعذر بالفلس. وأحس

(1) Okello, 193.

(2) Okello, 194.

لـدى عودته بالفنـدق بفقدان الثقـة في حكومات شرق أفريقيـا التـي لم تسـعفه. وقـال إن لعنـة الخطابات التـي جاءتـه في زنجبار تحققـت وهو لن يلـوم أحداً. فلـو لـم يطـح بسـلطان زنجبار، الـذي أهـان نظامه الأفارقـة، لما اعتبرتـه حكومات شرق أفريقيا شـخصاً غـير مرغـوب فيـه. فلـو لـم يقـم بما قـام بـه ولزم مكانـه لعـاش حيث شـاء في شرق أفريقيـا. ولكنه ثار ولـذا صار غير مرغـوب فيـه. وتأمل سـخرية الموقف مليـا: السـلطان المخلـوع يلقـى اسـتقبالاً كريمـاً في إنجلـترا[1] بينمـا يطـرده أبنـاء جلدته طـرد الأجرب.

وزاد الأمر ضغثاً على إبالة حين قرأ لجوزيف ييري عضو المجلس المحلي للساحل الكيني في جريدة موأفريكا التنجانيقية في ١٤ مارس ١٩٦٤م يهنئ كرومي من قلبه لإعلانه الفيلد مارشال أوكيلو شخصاً غير مرغوب فيه[2]. وساءه وصف ييري لسلوكه في الجزيرة بأنه مناف لميثاق منظمة الدول الأفريقية الذي يحظر استخدام العنف الفالت من الدستورية. وزاد ييري بأن على كينيا أن تحذوا حذو كرومي. فاستغرب أن يكون هذا رأي دستوري من ممباسا التي جربت مثل زنجبار اضطهاد العرب للأفارقة. وتساءل، والحال كذلك، إن كان ميثاق المنظمة سيجرمه، بمنطق ييري، إذا أطاح بحكم بيض جنوب أفريقيا أو أنقولا أو موزمبيق التي تستولي أقليات بيضاء على الحكم فيها مثل زنجبار. ولم يملك سوى لوم نفسه على ما قام به لتحرير زنجبار.

---

(1) Okello, 195.

(2) Okello, 195.

وقال إنه متى ندم على ذلك صح أن يسأل بيري وحكومة زنجبار وكينيا وتنجانيقا والمنظمة أن يغفروا زلته[1]. وبدت له سخرية القدر جلية: فلقد عوضت بريطانيا لسلطان زنجبار خسائره عن ملكه الذي شمل ممباسا ٢٠٠ ألف جنيهاً إسترلينياً بينما يطرد هو كشخص غير مرغوب فيه. فهو تسبب في فقد السلطان نظامه، ولكن مصيره كان أسوأ من مصير السلطان بما لا يقارن.[2]

وتلك أحزان الفيلد مارشال الغريب الزنيم في متاهته. ارتكب ثورة بحسن نية فإذا به يخيف حتى من ظن أنهم يستحقونها. وندم ندامة الكسعي.

أوكيلو، عبث شاذ بالتاريخ لن يجلب غير الخزي لمن يقومون به:

لعل أوسع حيل الوطنية الأفريقية لتغطية جرمها بحق الزنجباريين من أصول عربية هو النهج الدؤوب لمحو اسم الفيلد مارشال أوكيلو من كتاب ثورة ١٩٦٤م. وصار دوره فيها غامضاً حتى وصفه عمر مابوري بـ«اللغز» الذي يستصرخ الناس لحله لأجل تاريخ سوي[3]. فحتى اللقب، فيلد مارشال، بدا للقوميين الزنجباريين شاذاً وكاذباً. فصرف كرومي، رئيس الحزب

---

(1) Okello, 197.

(2) Okello, 197-198.

(3) Mapuri, 50-51.

الأفروشـيرازي، مزاعـم أوكيلـو بقولـه إنـه لـم يكـن لزنجبـار جيـش وقـت قيام الثـورة فكيف يكـون لها فيلـد مارشـال.[1]

وتطرف القوميون الأفارقة في تبخيس دور أوكيلو في الثورة حداً دمغوه بالجبن. فأدب الحزب الأفروشيرازي ظل يذيع أن منظميّ الثورة قبلوا بوجود أوكيلو بينهم لأنه، إن لم يفعلوا، وشى بخططهم الثورية للحكومة. ولم يكفهم هذا التشهير بالرجل. فجاء في أدبهم بالنص: باختصار فإن جون أوكيلو لم يتحمل مسؤولية من أي مقدار في تنظيم الثورة التي رتب لها الحزب الأفروشيرازي. وفي الحقيقة فإنه في وقفة يوم الثورة فقد أعصابه وحاول الفرار من الميدان ليجد مركب صيد سمك لتحمله إلى البر الأفريقي ناجياً بنفسه. ولكنهم قبضوه وعادوا به[2]. واتفق بابو مع الأفروشيرازي في تحجيم دور أوكيلو في الثورة بل محوه. ودأب على السخرية من ضآلة ذلك الدور. فقال عنه إنه لم يكن أكثر من جوكي ديسكو بمحطة الإذاعة[3]. كما تحدث بابو لصحيفة إيست أفريكان ستاندرد (١٢ يناير ١٩٦٥م) عن أوكيلو وقال إن لقب الفيلد مارشال مصطنع وأن الثوريين استعملوه كمذيع ليوحي بلكنته السواحيلية الكينية أن شرق أفريقيا داعمة للثورة.[4]

وتصـدى أوكيلـو في كتابه لمـن أرادوا محو اسـمه

---

(1) Clayton, 130, footnote 29.

(2) Martin, 58–59.

(3) Lockwood, 23.

(4) Okello, 162.

من سجل الثورة. فقال إن جريدة «الناشونالست» التنزانية (١٢ يناير ١٩٦٥م)(1) لم تذكر اسمه ضمن قائمة مجلسها الثوري ولا اسم رفيقه المقرب إليه عبد الله مفارينياكي، التجانيقي، الذي حارب في الحرب العالمية الثانية ونشط في الحزب الأفروشيرازي. وكان مفارينيكي احتج على إبعاد أوكيلو من زنجبار فألحقوه به ونفوه(2). واستغرب لإنكار بابو دوره في الثورة وذكّره بأيام اعترف في مقابلة صحفية بعد أيام من الثورة بإن أوكيلو يتمتع بسلطات وزير وأنه قائد الثورة بينما هم قادة سياسيون.(3)

واشمأز أوكيلو لما عده تزويراً لتاريخ الثورة أزال به الزنجباريون اسمه من دفترها. وقال «إنه لمن المحبط والشاذ أن ترى التاريخ يعبث به بهذه الطريقة التي لن تجلب غير الخزي لمن يقومون بها»(4). ولتأكيد دوره الثوري جاء بصورة لصحيفة غازيتة زنجبار الرسمية الصادرة بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٦٤م عليها قائمة أعضاء مجلس الثورة الثلاثيني ومقامه بينهم رقم ١٢ بصفته «فيلد مارشال». وجاء مفارينياكي رقم ٢٣ في القائمة. وحملت الغازيتة لنفس اليوم قائمة بالوزراء ومساعديهم. وليس ثمة وزير دفاع في

---

(1) Okello, 209.

(2) Okello, 171.

(3) Okello, 147.

(4) Okello, 163.

القائمة بينما شُغلت الوزارات الأخرى. ووجدت أن قراءة أوكيلو لها غير ظاهر نص الغازيتة. فهو يقول إنها حملت أسماء مجلس الثورة تلته قائمة بالوزراء عددهم ١١. ولكنهم ٩ في عَدّي لهم. وقال إنه تلت قائمة الوزراء قائمة أعضاء مجلس الثورة الأربعتاشر وتصدرها اسمه. وليس في الصفحة التي جاء بها من الغازيتة قائمة بالأربعتاشر عضو بمجلس الثورة. أما أعضاء مجلس الثورة الذين تصدروا الصفحة فهم ثلاثون جاء ترتيبه فيهم الثاني عشر. ويبدو أن الحديث هنا عن مجلسين للثورة أو أكثر لخضوع هذا المجلس للجرح والتعديل مراراً. ثم زاد بأن جريدة الناشونلست ذكرت ١٢ عضواً هم نواة المجلس ولكنها أسقطت اسم اللواء مفارينياكي الذي قاد الفرقة الرابعة بصحبة أوكيلو لمهاجمة نقطة بوليس زيواني للشرطة وكانت الهدف الصعب.[1]

وبلغ محو أوكيلو من مشهد الثورة بالقوميين الأفارقة والماركسيين حداً دفع مابوري، من كتاب تنزانيا، أن يتدارك المنكرين ويرد ما للفيلد مارشال ما للفيلد مارشال. فبدا لمابوري أن أوكيلو كان ينفذ خطة موضوعة سلفاً. وهذا ما أوفاه أوكيلو عرضاً ورصداً في كتابه عن ثورة زنجبار. ثم تصدى مابوري لأنواع «التزوير»، لو شئنا، التي كتبت للثورة تاريخاً خلا من ذكر أوكيلو. فقال إن هناك من يزعم أنه زج باسمه في لجنة الثورة

(1) Okello, 162-163.

الأربعتاشرية قبيل ساعة الصفر بقليل. وأضاف أنه ربما اتفق للمرء هذا التقويم من قراءة مذكراته «الثورة في زنزبار» التي بدا فيها أنه قد دُعي إلى اجتماعات باكرة لتلك اللجنة. ولكن الرجل ظل يزعم أنه من أسس لجنة الأربعتاشر بل قائدها أحياناً[1]. وأشار مابوري إلى كتابات تاريخية رسمية عن الثورة خلت من اسمه. ومثال ذلك ما نشرته جريدة الناشونالست في ١٢ يناير ١٩٦٥، بعد توحيد تنزانيا في مايو ١٩٦٤، التي لم تذكر اسمه ضمن قائمة مجلس الثورة الأربعتاشري. وللمفارقة، في قول مابوري، حوت قائمة الصحيفة على أثني عشر اسماً فقط مع معرفة الجريدة بأنه تكون من أربعتاشر عضواً. وأشار إلى ما يشكل تزويراً للسجل حين أسقط بعضهم اسم أوكيلو من المجلس وأحلوا محله واحداً لا بينة على أنه كان با لمجلس.[2]

وعزا مابوري الغموض الذي يحيط بدور أوكيلو إلى «فقدان الشفافية البادي عند قسم كبير ممن نتوقع بغير شطط أن يعرفوا الحقيقة. وصارت سنة في زعماء مشهود لهم في الثورة أن يتهربوا من السؤال متى طرأ ذكر أوكيلو». وذكر من هؤلاء القادة بابو. فبابو كثير التناقض عن منزلة الرجل. فوصفه مرة ساخراً بأنه رجل «صار هواه المذياع يرسل التهديد الثوري تلو التهديد بأمل أن يلقي

(1) Mapuri, 50.

(2) Mapuri, 52.

الرعب في قلوب مستمعيه»[1]. في حين قال أعضاء من المجلس الثورة الاربعتاشر إنه جاء في دقائق الثورة الأخيرة منتهزاً سانحة تكليفه مع آخر لإدارة الإذاعة فسرق الأضواء علماً بأن الثورة كانت قد نجحت بدونه. وكان تكليفه الأصل أن يدرب ثواراً جاهزين عند محطات البنزين لحرقها متى فشلت الثورة[2]. واعترف عمر لأوكيلو بدوره القيادي متى سألت بيادة الثورة. فتجدهم يقولون إنه لم يكن عضواً بالمجلس الثوري فحسب بل كان مهندساً مميزاً من مهندسيها. وقال إنه حتى بابو يقر بدور لأوكيلو متى ترك عادة الإنكار. ومن إقراراته قوله إن أوكيلو، زعيم الرجرجة الرثة، قاد فرقته من اتحاد شباب الحزب الأفروشيرازي الغاضبين الذين كانت خطتهم الأصل حرق مدينة زنجبار لخلق حالة قصوى من الفوضى الاجتماعية[3] وخلص مابوري إلى أنه لن يُكتب للثورة تاريخ مستحق بغير ذكر أوكيلو بل العرفان بدوره المفصلي فيها. فالدلائل ناطقة بأن الرجل كان واحداً من العوامل الحاسمة في فوز الثورة.[4]

سيكون قبول القوميين الأفارقة بنظام كرومي

---

(1) A.M. Babu, The 1964 Revolution: Lumpen or Vanguard. In Abdull Sherrif and Ed Furguson, Zanzibar Under Colonialism (London, James Cury, 1991), p. 241.

(2) Mapuri, 51.

(3) Babu, 1991, 240.

(4) Mapuri, 50-51.

(١٩٦٤م-١٩٧٢م) وغضهم الطرف عن سوءاته ذنباً معلقاً على رقبتهم للتاريخ. وكان كليتون أعتذر لهم عن خضوعهم الذي سبق لأوكيلو بقوله إن العناصر المتعلمة في الحزب الأفروشيرازي قبلت بالانجرار وراءه بمزيج من الخوف والرغبة في تقليل سفك الدماء[1]. ولكن قبولهم بطغيان كرومي، المعروف أنه أقام دولة بوليسية شقي منها أهل زنجبار شقاء كبيرا، طال حتى اغتياله[2]. فبرغم مزاعم إطراح الأعراق وفتنتها في خطابات الرجل إلا أن حكومته مارست اضطهاداً واضحاً ضد العرب والهنود وأهل جزر القمر. وأسرف مرات في مشروعات يوتوبية للتسوية العرقية مثل عودته إلى نهج الجمعية الأفريقية القديمة في معاداة الهوية الشيرازية برغم وجودها في اسم حزبه: الحزب الأفروشيرازي. فأكره ١٨ ألف زنجباري لتوقيع إقرارات بأنهم ليسوا شيرازيين أو أنهم لا يعرفون معنى لكلمة شيرازي حتى. وفي نفس العام ١٩٧٠م، بلغت فضيحة الزواج القسري كما مر أوجها وأنبنت على بلاغيات الحزب الحاكم القاضية بتمكين الرجل الأفريقي من المرأة العربية[3]. وبلغ من تمام خضوع زنجبار لكرومي حداً قال

---

(1) Clayton, 81.

(2) (Lockwood, 24-25).

ـ قالت عنه لوكوود إنه: «أدخل زنجبار في عصر فظ من مصادرة حقوق الإنسان خشي الناس فيه على حياتهم في أي دقيقة من يومهم»

(3) Glassman, 289.

مارتن إنه ربما أعيانا تفسيره[1]. واستغرب مارتن لتمسك نايريري بكرومي بخطاياه الكثيرة. فمن جهة أفرغ الاتحاد مع تنجانيقا من كل سلطان على زنجبار وعطل قوانين تنزانيا الفدرالية حتى أن التنجانيقي لم يكن يسمح له بدخول زنجبار بغير إذن، ولم يسمح لتانو، الحزب الحاكم في البر، بممارسة نشاط في الجزيرة[2]. ومن الجهة الثانية كان مصدر حرج كبير لنايريري، وواخذه برفق حين أزكمت إجراءاته الفاجرة للتسوية العرقية بإجبار بنات العرب والهنود والفرس للزواج بمن تقدم إليهن بغير اعتبار لرغبتهن.[3]

إن القومية الزنجية الأفريقية لن تتخلص من هذه التركة في قبول الدنية في مشروعها تحت كرومي ما لم تسلم بأن هولوكوست العرب كان مبتدأ طريقهم إلى الخزي والتبذل الذي اكتمل تحت الرجل.

(1) Martin, 62.

(2) Martin, 59.

(3) Martin, 69.

(ج)

هولوكوست العرب، نهاية السياسة

جـاء قلاسـمان في كتابـه بطـرح مميـز للعلاقـة بـين الذواكـر العرقية التاريخيـة والجنوسـايد. فتجد لذاكـرة الرق العربي شـعواء عند مثل الفيلد مارشـال وقوميـين زنوجيـين آخريـن. فهـي في نظـر كثيريـن بـؤرة ذات برمجـة مسـتديمة لوقوع الجنوسـايد كما في زنجبـار. ومتـى سـاغ الربط البسـيط بـين الذاكرة والثأر صـار الجنوسـايد ميسـور التبريـر بالنظر إلى الذاكـرة. ولكن قلاسـمان يـرى أن الجنوسـايد واقعة معـاصرة بنـت سياسـة معـاصرة تسـتدعي التاريخ (مثـل الـرق العربـي) بصـور ذكيـة وشـتى لتتنزل بأغراضهـا الآنية الشـاغلة عـلى الأرض. فمتـى قلنا إن الـرق العربـي ذاكـرة أفريقيـة لا محيد عنهـا تتفجر مـن تلقاء نفسـها في ظرف تلقائـي قفلنا البـاب أمام

بناء علاقات عربية أفريقية غراء لأنه لا معقب على قدر الذاكرة ولا راد لسلطانها. ولذا كان الجدل الذي رآه قلاسمان قائماً بين الذاكرة العرقية ومستحدث المعاصرة مدخلاً أنسب لفكرنا الاستراتيجي حيال أفريقيا.

فمن رأي قلاسمان أن النازع لقتل الآخر العرقي في الجنوسايد، مهما بدا لنا من تلقائيته، لا يقع وجوباً متى ما توافر خطاب عرقي يبخس إنسانية ذلك الآخر. كما لا يقع ذلك النازع، بنفس القدر، من ينابيع أرومة عرقية غائرة. فلا يقع التطهير للأعراق لأن الأعراق متشاحنة ولا تطيق واحدها الآخر. فقد قال مارتن لوثر كينق إنه قادر على العيش وهو مبغوض من الآخر ولكنه لن يأذن له ليجعل من بغضائه سبباً لانتقاص مواطنته.

وعليه فالجنوسايد ليس مثل الجبل البركاني يخمل حتى تفرفر فيه الذاكرة الجيولوجية فيتفجر. فالجنوسايد لا يقع من بغضاء مرسلة ولا ذاكرة تاريخية مؤثله مثل الرق العربي في حالنا. وبدون التقليل من مؤثر التاريخ والخطاب العرقي فالجنوسايد هو ثمرة شغل منظم صعب تقوم به الجماعة أو الدولة. فالخطاب العرقي المرسل يحوي إمكانية التفجر في مذابح عرقية ولكنها إمكانية تنتظر من يشعل الفتيلة. وللتدليل أنه كان وراء محنة زنجبار مثل ذلك الشغل نبه قلاسمان إلى أن المذابح توقفت منذ أبعد أوكيلو من المسرح في مارس ١٩٦٤م واحتل كرومي ورفاقه دست الحكم.

فلـم يبق كثـيرون في الحكومـة الثوريـة راغبين في دق أعنـاق العـرب وتضريـج الجزيـرة بدمهـم[1]. مع أن ذاكـرة الـرق هي هـي لـم تتغير.

ولا يعتقد قلاسمان في مواصلة توزير الاستعمار لتمظهرات العرقية الأفريقية العنيفة. فليس ثمة نقطة في الماضي الاستعماري البعيد أو القريب نُعينها لمنشأ العرق لنقول إنه مكث بين الناس منذها. فحلقات العرقية لا تتصل وتطرد لمجرد حضور ذاكرة عرقية شقية بين الناس بل لأننا نعيد صنعها مرة بعد مرة. فجنوسايد زنجبار ثمرة مرة لسياسات اكتنفت نيلهم الاستقلال في ديسمبر ١٩٦٣م. فلقد اختلف الزنجباريون بقوة حول أي الطرق يسلكون في بناء الدولة المستقلة: ما صورة المواطنة فيها؟ من له سلطانها؟ وعلى أي أسس؟ وأيقظت خلافاتهم قبيل الاستقلال في ١٩٦٣م فتنة الذواكر العرقية التي كانت نائمة[2]. فالسياسة، التي طغت فيها كراهة العرب خلال تلك الخلافات فصورتهم كأجانب، ليست مجرد خالف من ماضي نخاسة العرب. ولكنها خلق جديد «سمكرها» مفكرون سياسيون يستدعون جزيئاً صوراً ومفازعاً من حقيبة الماضي لحسم الخلاف الماثل لصالحهم. وعليه فالعرقية في الواقع ثمرة خطابات حديثة قائمة على قدم وساق لا تعيد إنتاج التوترات القديمة بقدر ما تحاول مقاربة توترات جديدة.[3]

---

(1) Glassman, 284.

(2) Glassman, 287.

(3) Glassman, 288.

وسننظر إلى سياسات زنجبار المعاصرة في تلك الفترة التي أشعلت فتيلة الجنوسايد وواتتها الذاكرة العرقية. وسنعرض لسياستين عريضين أولهما التدافع الانتخابي للكتل السياسة والعرقية منذ منتصف الخمسينات وثانيهما طابع التحليل الماركسي القوي الذي ساد حول طبيعة الصراع الاجتماعي في زنجبار تلك الفترة.

الانتخابات التي ما بعدها أخرى:

يسمي الزنجباريون سنوات آخر الخمسينات والستينات قبل ١٩٦٤م بـ«زمان السياسة» ويعنون بها زمان توطن الشقاق بينهم. كانوا قبلها آمنين، أو قل مستسلمين، لروتين حياتهم كل في نطاقه الإثني بينما ربطتهم في المعاش علاقات اقتصادية غير متكافئة حول زراعة القرنفل والحقوق فيه ولكنها محتملة. وجاء ذلك الاقتصاد المزدهر بأفارقة البر لينتفعوا منه. وحملوا معهم بذور الحركة الوطنية القومية من القارة مع أنهم كانوا يحسبون أن مكوثهم بزنجبار مؤقت. ثم تدهور سوق القرنفل في آخر الخمسينات وتردت أوضاع من أسعدتهم قبلاً[1]. وشكل هذا التوتر الاقتصادي بعد أمن إطاراً لنزاعات «زمن السياسة» الزنجباري.

عرض بابو بشكل سلس لتاريخ الخميرة الانتخابية في زمن السياسة التي لابست سياسة

(1) Clayton, 37-38.

العرق فأضرمت العنف (١٩٨٩، ١٩٩١). فتنازعت الانتخابات في زمن الخِلف ذلك الأحزاب في مناخ هستيري دموي أحياناً استدعت فيه الأطراف المؤلبة التواريخ العرقية من مثل الرق العربي وتعانفت جدلاً حول هوية زنجبار ومن يستحق مواطنتها ومن لا يستحق. وفي هذا مصداق لكلمة قلاسمان من أن الذاكرة العرقية لا تتفجر وحدها فتطهر الأرض من العرق الآخر. فهي لا تنفث حممها إلا في سياق مبتكر مثل الانتخابات التي تحتاج فيها الأطراف لبينات من التاريخ على سداد رسالة كل منها للأمة.

خاض تلك الانتخابات ٣ أحزاب بشكل رئيسي. أولها حزب زنجبار الوطني الذي تكون في إطار النضال ضد الاستعمار مستلهماً القدوة في أفريقيا العربية الناصرية وأفريقيا السوداء[1]. ومع أن الحزب مُصَنَف كحزب للعرب إلا أن العرب، في قول بابو، في زنجبار «كفوا أن يكونوا عرباً منذ وقت طويل». وصار عسيراً أن تفرق بين العربي والأفريقي للتزاوج المختلط. فأكثر العرب ولدوا لرقيق سابق[2]. ومع حرص الحزب على توطيد صلته مع أفارقة الجزيرة إلا أن تكوينه وخطابه العربي أراب أفارقة فنظروا إليه كحزب للملاك

(1) M.A. Babu, The Background to the Zanzibar Revolution. In Amrit Wilson, US Foreign Policy and Revolution: The Creation of Tanzania, (London, Pluto Press, 1989), p.143.

(2) Babu, Background, 144.

العـرب[1]. واحتفـظ مـع ذلـك بتأييـد جماعـة منهم بخطابـه الإسـلامي. بـل أمَّـن ولاء قسـم من سـكان الجزيـرة الأصـل قبل وفود العـرب والشـيراز وأفارقة الـبر إليهـا. وتجذرت الوطنيـة في الحزب الـذي واظب عـلى الدعـوة لاسـتقلال زنجبـار مـن الاسـتعمار الإنجليـزي. ولـذا دس الإنجليـز لـه عنـد الإقطاعيـين العـرب (بزعم أنـه سـيهدم امتيازاتهم) وعنـد الهنود (بزعـم أنـه ضـد الهنـود) وقالـوا للشـيراز الأفارقـة إنهـم عـرب يريـدون جـلاء الإنجليـز ليخلـو الجـو فيتحكمـون فيهـم.[2]

وكان الحـزب الآخـر هـو الحـزب الأفروشـيرازي الـذي قـام عـلى جمهرة مـن سـكان المـدن في زنجبار مـن ذوي الأصـول الشـيرازية وتلـك التـي مـن بـر أفريقيـا ومـن بعـض سـكان زنجبـار الأصليـين. ووقـف ضـد أي تطـورات دسـتورية تـؤدي إلى الاسـتقلال لبـؤس اسـتعداد زنجبـار سـوى العـرب لـه. وشـذ أفارقـة زنجبـار بذلـك عـن بقيـة أفريقيا السـوداء في أنهـم لـم يسـتعجلوا التحـرر مـن الاسـتعمار الإنجليـزي. فمـن المفارقة هنـا أن الحزب الأفروشـيرازي الزنجبـاري، الـذي يعتقـد في أرومتـه الأفريقيـة، هو الذي كان يسـتبقي لإنجليـز في زنجبار ويؤجـل مـن موعـد الاسـتقلال في مخالفـة واضحـة لوجهـة القـارة السـوداء آنـذاك. فالحـزب جعـل شـعاره خـلال الحملـة الانتخابيـة» يوهـورو زويـا«

(1) Clayton, 41.

(2) Babu, Background, 145-146.

(لا للحرية الآن)[1]. ووجد المناصرة في خطته للبطء بالاستقلال من الرابطة الهندية المحافظة لغلبة التجار ورجال الأعمال فيها[2]. ولكن الأفريقية الجامعة أدركت الأفروشيرازي فحثته ليركب قاطرة الاستقلال. وكانت ذروة هذا الضغط خلال انعقاد مؤتمر تضامن شعوب أفريقيا في أكرا بغانا في عام ١٩٥٨م. وسبق حزب زنجبار الوطني بدعوة الأفروشيرازي إلى تكوين جبهة متحدة قبيل انعقاد المؤتمر. وضغط نايريري على الأفروشيرازي أن يذهب لغانا وأن يتفق مع الوطني. وأثمر مزيد من الضغط الأفريقي بقيادة كوامي ونكروما، رئيس غانا بمبادئه الواضحة في الأفريقية الجامعة، فقبل الأفروشيرازي أن يلتزم باستقلال زنجبار. ولكنه اشترط على الوطني أنه، متى ما تحالف معه لنيل الاستقلال، ألا يتعامل مع من ينشق منه بسبب تغيير موقفهم من الاستقلال[3]. وتواثق الحزبان على برنامج وطني للحكم الذاتي جلب المتاعب لكليهما. فعضوية الحزب الوطني لم تر جديداً تتقارب به مع الأفروشيرازي. وكثير من أعضاء الأفروشيرازي، من الجهة الأخرى، لم يروا سبباً لتغيير الموقف من الإنجليز ليخلو الجو لسيادة العرب. فانقسموا في ١٩٥٩م. وتكون حزب شعب بمبا وزنجبار، ومعقله في بمبا وغلب فيه الشيراز، الذي تحالف

---

(1) Clayton, 37-38.

(2) Clayton, 37-38.

(3) Babu, Background, 148-149.

مع الوطني بآخرة. واستفز حنث الوطني بعهده الأفروشيرازي فوقعت بينهما صدامات دموية في ١٩٦٢م و١٩٦٤م[1]. وخرج يسار الحزب الوطني الماركسي بقيادة بابو عليه لأنه، بنكثه العهد، سعَّر التناقض الثانوي بين الوطنيين وكسر وحدة الصف ضد الاستعمار[2]. كما ساء اليسار تقارب الوطني مع حزب شعب بمبا وزنجبار الذي ظل يضغط على الوطني ليتخلص من اليساريين[3]. وبخروج حزب شعب بمبا وزنجبار على الأفروشيرازي صار الأخير يعتمد أكثر فأكثر على أفارقة البر والجمعية الهندية وحزب تانو التنجانيقي.[4]

ما بين ١٩٥٦م و١٩٦٣م تواترت خطط دستورية لمنح زنجبار استقلالها كملكية دستورية برلمانية. وجرت أول انتخابات للغاية في ١٩٥٧م. وكان خطاب الوطني يركز على الوطنية الزنجبارية الإسلامية لعزل أفارقة البر بينما دار خطاب خصومهم، في الأفروشيرازي، حول غربة العرب عن أفريقيا.[5]

وفتح زمان السياسة الباب للسياسة العرقية، في قول بابو، حتى طردت من الحقل كل سياسة أخرى[6]. فاستفحلت وطنية البر الأفريقي في

(1) Babu, Background, 151.

(2) Babu, Background, 152.

(3) Babu, Background, 153.

(4) Babu, Background, 152.

(5) Clayton, 41.

(6) Clayton, 37-38.

الأفروشيرازي في وجه محاولات الوطني عزلهم عن العملية الانتخابية. وكانت مواطنة أولئك الأفارقة مثار خلاف. فورث الوطني عن الإنجليز فرزهم لهم كجماعة على حدة. وعليه عدهم الوطني منذ قيامه كجماعة من «مؤقتي الإقامة»[1]. وجاء القانون الانتخابي بعزلهم لأنه قصر التصويت والترشيح على من كان من رعايا السلطان[2]. وإلى جانب السياسة تدهور اقتصاد القرنفل فأفسد العلائق العرقية. فقد طرد العرب قُعداء مزارعهم من أفارقة البر. وفي سياق هذا النزاع نمَّى الأفارقة في الأفروشيرازي شعار «الأرض لنا والأشجار لكم» رغبة في استرداد أرضهم من مغتصبيها العرب ومعمريها. وامتد النزاع إلى النقابات فصار لكل حزب كتلته النقابية تتبع خطه حزبها الأثير[3]. وتفاقم الاستقطاب العرقي بين زنجباريّ الجزيرة وزنجباري البر. وكاد أفارقة زنجبار للأفروشيرازي حتى أوقفوا كرومي، زعيم الأفروشيرازي، أمام المحكمة بوصفه غير زنجباري[4]. وأدت المحاكمة

---

(1) Clayton, 39-40.

(2) Clayton, 41, footnote 38.

(3) Clayton, 42.

(4) Martin, 62-63.

- ما عرف الناس عنه كثير شيء. فادّعى أنه زنجباري ولد فيها عام ١٩٠٥م. ولكن لفت زعمه غائلة شك. فكثيرون يعتقدون أنه جاء إلى زنجبار طفلاً من ملاوي. وتعلم في المدرسة الأولية بزنجبار وتركها لما بلغ الخامسة عشر من عمره ليعمل في السفن التجارية. وعاد عام ١٩٢٨م ليصير زعيماً للحزب الأفروشيرازي.

التـي برأتـه إلى خروجه كزعيـم لأفارقة البر مسـتفيداً مـن صورته كضحية لسـوء طويـة العرب.

وازداد الشـقاق قـوة في سـنوات ١٩٦٠م-١٩٦٣م وعـبر عـن نفسـه في انتخابـات جـرت في ١٩٦١م و١٩٦١م. صـدر قبلهـا دسـتور ١٩٦٠م ورتب لقيام مجلـس تشريعي أعطى حـق التصويت للنسـاء وميز الحـزب الفائز بحق تكويـن الوزارة. ولكـن انتخابات ينايـر ١٩٦١م انتهـت بالتعـادل بـين الوطنـي والأفريقـي وشـيرازي[1]. وكان يمكـن لحـزب شـعب بمبـا حسـم المسـألة بالتحالـف مع أيـاً منهمـا ولكن نوابـه توزعـوا عـلى الحزبين ولـم يغيروا مـن طبيعة التعادل. وعليـه أعيدت الانتخابـات في يونيو ١٩٦١م. وجـرت في منـاخ مشـحون، فالأفروشـيرازي يتهـم الوطنـي بأنـه معاد للأفارقـة وأنه رافـض الدخول في اتحـاد دول شرق أفريقيا وأنه شـيوعي. وكان يرفع في مناسـباته صور كنياتـا ونايريري وأعـلام حزب تانو التنجانيقـي. وروج الحـزب الوطني للوحـدة الوطنية والإسـلامية. بينمـا زعـم شـعب بمبـا أنه الـذي يمثل مصالـح الزنجباريـين الأصليـين حقـاً. وبلغـت حمى الانتخابات أشـدها واصطرع شـباب الحزبين جسدياً. ونشـأت حالـة مـن هسـتيريا الدعايـة. ولتبغيـض النـاس في الـبر الأفريقـي قـال الوطنـي إن ذلـك البر سـتكون لـه الكلمـة العليـا متى فـاز الأفروشـيرازي وسـتصبح زنجبـار منطقـة إداريـة عليهـا مفتـش مسـيحي موفد من نيروبـي ودار السـلام وأن الأفارقة

(1) Clayton, 41.

من البر سيغزون الجزيرة ويغرقون أهلها. وجدد الأفروشيرازي حديث رق العرب وخَصي الرجال وإفراغ حشا الحوامل وخدمة النساء للعرب يمسحن الأرض عرايا عند نهودهن. وقُتل في الصدام ٦٥ عربياً من جملة ٦٨ وأُرسلت فرق بريطانية من كينيا لحفظ الأمن. وفاز تحالف الوطني وبمبا.[1]

ولما كان الأفروشيرازي نال ١٠٠٠ صوتاً زائدة عن الحزبين الفائزين بالمقاعد رفض النتيجة واتهم العرب بتزويرها لصالحهم. وطلب انتخابات جديدة جرت في يوليو ١٩٦٣م[2]. وسبق الانتخابات خروج حزب الأمة عن الوطني متهماً قيادته بأنها سلطانية وعنصرية وتمثل مصالح طبقة العرب العليا. ومات قبل الانتخابات سلطان عبد الله وحل محله سلطان جمشيد الذي كشف عن ضعف تمثل في إلقاء ثقله بجانب العرب والوطني بما فارق به تقاليد الحيدة النسبية التي أرساها جده سلطان سعيد.[3]

وجرت الانتخابات المعادة في جو أقل هستيرية من سابقتها ولكن الرصيد التاريخي العرقي تطاير في سماء الحملات الانتخابية. فاستمد الوطني دعايته من الدفاع عن العقيدة والسلطان. ومع حديثه عن تكافؤ الفرص والتزامه بالأفريقية الجامعة إلا أنه استمات عند أنه حزب النظام

(1) Calyton, 44.

(2) Clayton, 44.

(3) Clayton, 46.

والقانـون. وكان الأفروشـيرازي يخـص الإسـلام والسـلطان باحترامـه إلا أنـه شـدد عـلى التسـوية وتوافـر فـرص التعليـم للأفارقة وفـرص التوظف في الخدمـة المدنيـة. وتراشـقا الحزبـان بمقتطفـات من نصوصهما: الوطنـي يقرأ من القرآن والأفروشـيرازي يعيـد إنتـاج فظائـع الـرق العربـي. وفـاز بالمقاعـد تحالـف الوطنـي وبمبـا بأصـوات قلـت عمـا نالـه الافروشـيرازي ليعوج الأخـير إلى اتهامـات التزوير.[1]

لم يكن الأفروشيرازي بحاجة إلى اليأس من الديمقراطية ليثور في يناير ١٩٦٤م بالوكالة وبالدم. فقد خاص كليتون إلى أن مؤشر الإحصائيات دلل على أن الانتخابات هي لعبة الأفروشيرازي للحكم إذا ما صبر. ولكن انتخابات ١٩٦١م و١٩٦٣م أزهدت زنجباريّ بر أفريقيا وغيرهم في الطريق البرلماني وصار من قناعتهم أن ١٩٦٣م ستكون آخر الانتخابات يجريها الوطني. وصار الاستقلال الممنوح في ديسمبر ١٩٦٣م استقلالاً للعرب فقط (يوهرو وا أورابو تو)[٢]. ومن سخرية التاريخ أن الحزب الأفروشيرازي هو الذي حجب الانتخابات عن زنجبار من ١٩٦٤م حتى عادت بصورة وئيدة في ١٩٨٥م.

---

(1) Clayton, 45. footnote43 and 47. footnote 46.

- لـم يقبـل كلايتـون منطـق الأفروشـيرازي في زعمـه فسـاد الإنتخابـين بدفـع حسـن التأسـيس.

(2) Clayton, 49.

ماركسية الجُزر الغافيَة:

كانت الماركسية التي أشاعها حزب الأمة بزعامة بابو من الخمائر التي دخلت في صناعة نكبة العرب بثورة ١٩٦٤م. وهي ماركسية نزعت «فتيلة» العرق من شبكة العلاقات الاجتماعية السياسة بتركيزها المفرط (بل الأحادي) على الصراع الطبقي وأساسه المادي.

فمن رأي بابو أن الذي نظم ثورة ١٩٦٤م ونفذها هم شباب الأفروشيرازي وكانت قيادتهم قد فجعتهم بهزيمتها في انتخابات ١٩٦٣م. وغَبَنهم حقاً أن حزبهم فاز بأغلب أصوات الناخبين (54.3%) حصل بها على ١٣ مقعداً فقط بينما فاز بالحكم تحالف حزب زنجبار الوطني (١٢ مقعداً) وحزب زنجبار وبمبا الشعبي (٦ مقاعد) اللذين لم يحصلا على غير نسبة (45.7%) من الناخبين[1]. وهو وجه للريبة ولكنه لا ينافي الدستور الذي جعل الحكم للغالب في المقاعد لا في الأصوات.

ولم يعبأ بابو ليعتبر التكوينات العرقية الحادة التي التبست معاش الناس في زنجبار والتي عرضنا لها أعلاه. فتمترس في تحليله الطبقي بلا وازع. فمن رأيه أن ثورة ١٩٦٤ ثورة البروليتاريا الرثة[2] بما عرفت به تلك البروليتاريا من محدودية وسلبية. وقال إن الذي قاد الثورة هو أوكيلو، رأس الرثاثة،

---

(1) Clayton, 47.

(2) Babu, 1991, 239.

الـذي لـم يكن ليطمـع في أكثـر من أن يهجـم وعصبه الشـابة عـلى مدينة الحجـر، مدينـة العـرب، وحرقها لخلـق فـوضى اجتماعيـة عظيمـة. ومع اعـتراف بابو أن حزبـه لـم يطلـق رصاصـة في بـدء تلـك الثـورة إلا أنـه تدخـل لاحقـاً وقلـب تلـك الفكـرة الفوضوية إلى انتفاضـة لقلـب النظـام القائـم. فتدخـل حزبـه في الوقـت المناسـب وبإمكاناتـه القياديـة والفكريـة والتعبويـة لتفـادي تـردي الوضـع القبيـح الـذي صنعتـه البروليتاريـا الرثـة، وهـو مذبحـة العـرب، إلى الأسـوأ. كأن هنـاك أسـوأ مـن ذلك وأرذل. فوسَّـع الحـزب دائـرة مطلـب الثـورة مـن مجـرد الكراهـة الرثـة للعـرب وامتيازاتهـم إلى ثـورة بأفـق اجتماعي وسـياسي واقتصادي رحـب.[1]

وبابـو منكـر كبـير للمحرقـة العربيـة. وأعفـى بذلك الماركسـية مـن الخـوض في ديناميكيتهـا بما في ذلـك العرقيـة التـي فتحت على العـرب أبـواب الموت. فالمحرقـة لـم تقـع في قولـه لأن حزبـه منـع وقوعها. فهـي لا توجـد إلا في الدعايـة العربيـة (الصـادرة عن دول ملـوك العرب). وهـي دعاية اسـتندت على مزاعم أوكيلـو الشـاطحة عـلى الراديـو عـن الآف الضحايـا التـي رمى منها أن يروع مسـتمعيه كمـا تقدم. ولكن رقـم الضحايـا في قولـه قليـل. فليـس ثمـة ضحايـا في جزيـرة بمبـا وأكثـر ضحايـا أونقوجـا نجمت عن تصفيـة الثارات الشـخصية ولقي المجرمـون جزاءهم حـين تـم القبـض عليهـم. وعـاج عـلى إعـلام أوكيلو

(1) Babu, 1991, 240.

الكذوب فقال إن الرجل وقع في حب الراديو وظل يخاطب الأمة على رأس كل ساعة ليعلن لمستمعيه عن قرارات متناقضة عن عمل المجلس ويلوح بالتهديد لا يني. ولكن كادر حزبه، الأمة، تمكن من تحرير الراديو الوطني من قبضة أوكيلو وتولى قيادة العمل الإعلامي واصطدم مع عصبه خلال تأمينهم للشوارع.[1]

ينزع بابو العرقية من ثورة ١٩٦٤م بتعليق عنفها ومذابحها للعرب على «رثاثة» طبقة ما. وهو هنا متوافق مع صفوات كثيرة تعتقد أن العرقية هي حظ العامة من السياسة. وقد أعرض بابو عن تحليل جبر العرق في ثورة زنجبار حتى وهو يقرر أنه كل ما تبقى للصفوة، قبل العامة، من السياسة في زمان السياسة في زنجبار. فخلص بعد عرض دقيق للاستقطاب السياسي بين الزنجباريين، ممثلين في الحزب الوطني وحزب شعب بمبا، وأفارقة البر الذين عبر عنهم الحزب الأفروشيرازي، إلى أن العرقية كانت هي سيدة الموقف لا السياسة. وصار صوت الداعين لطرق السياسة بالتحليل الطبقي من أمثاله صوت في البرية.[2]

ومع محو بابو للعرقية من خارطة الصراع الاجتماعي في زنجبار إلا أنه لم يزد عن كونه «عربياً» في نظر أهل الأعراق. فلفت أوكيلو النظر إلى أنه بعض عربي ومؤيد عظيم للعرب في حزبهم حتى

(1) Babu, 1991, 242

(2) Babu, Background, 156.

طـردوه منه بسـبب التصرف غـير المـشروع في أموال للحـزب. ولـم تـزد عضويـة حزبـه، الأمة، عـن ١٢٠ لا تأثـير لهم على سياسـة الجزيـرة. وحلتـه الحكومة قبـل الثـورة وهـرب بابـو إلى دار السـلام. وانتقـد أوكيلـو سياسـات الحـزب الراديكالية والاشـتراكية في حين كانـت الحاجـة آنذاك للفعـل الثـوري لا لنظرية اشـتراكية[1]. من جهـة أخرى قال كلايتـون أن نصراء بابـو في حـزب الأمـة تكونـوا من الشـبان العـرب من الطبقة الوسـطى ممـن شـغفوا بالاشـتراكية العربية والماركسـية[2]. وبـدا لمعظـم الأفارقـة أن هجـوم بابو عـلى زعامـة الحـزب الوطنـي كمـلاك أراضي يبذرون الفتنـة بـين الطبقـات الاجتماعيـة العاملـة، «مجـرد شـكلة بين الجماعات العربيـة» (١٩٨١،٦١). فالعرب عندهـم سـواء فلاحهـم والإقطاعي.

مؤكـد أنـه لا غبـار عـلى تطبيـق الماركسـية في النظـر إلى المجتمـع الزنجبـاري وسياسـاته. ولكـن التـذرع بطبقيـة النظريـة للتغـاضي عـن السياسـة العرقيـة التـي تلتبـس الصراعـات الطبقية مثـل التي وقعـت في زنجبـار خدمة بائسـة لـكل من الماركسـية والعلـم بالمجتمـع الزنجبـاري. فقـد صدمنـي بابـو الـذي لـم يطـرف لـه جفـن لهولوكوسـت العـرب في ذلـك المجتمـع فحسـب بـل راح يـروج لثوريـة حزبه الماركسي الذي قفـز فوق عربـة «ثورة» لـم تحتج إلى ثاقـب ماركسـيته. وأراد أن يبنـي بتلـك الثـورة، التي

(1) Okello, 93.

(2) Clayton, 59.

هـو ضيـف عليهـا، مجتمع الاشــتراكية بغـض النظر عن الــدم المراق هــدراً وظلمـاً. وانتهى بابــو بالنتيجة إلى لعــب دور الملقن لكرومي بالشــعار الثــوري ليبني واحــدة مــن أبشــع ديكتاتوريــات أفريقيـا بوليســية شــقي منهـا أهـل زنجبــار شــقاء كبيرا.

وحبل ركــوب الثــورات المعارة قصير. فمــع ادعاء بابــو اســتتباب الأمــر لفكرهــم بعــد إزاحــة طغمــة أوكيلــو في مــارس ١٩٦٤م إلا أنــه لــم يبــق وأركانــه في زنجبــار لأكثــر من شــهر واحــد بعد تــلاشي الفيلد مارشــال. فقد تخلــص منهم كرومي بتوحيــد زنجبار مــع تنجانيقــا في أبريل من نفــس العــام و»نفى» من لــم يثــق بهــم مثــل بابــو إلى وظائــف سياســية مــن الــدرك في الحكومــة الفدرالية بدار الســلام. ومع تواتر احتجــاج بابو بــأن وحــدة زنجبار وتنزانيــا مقصودة مــن الإمبرياليــة العالميــة لإطفــاء نــور الاشــتراكية الزنجباريــة القــدوة لــكل أفريقيــا إلا أنــه قبــل بهــا مكرهــاً لا بطــلاً في لحظــة مــن لحظات الثــوري يؤثر الســلامة ويؤجــل المعركة مــع العــدو إلى مــا لانهاية. فقــد نقلت الســفارة الأمريكية بدار الســلام في رســالة اســتخبارية بتاريخ ٢٦ إبريــل ١٩٦٤م واقعة اجتماع كرومــي ببابــو ليبلغه بأن مجلــس الثورة اتخــذ قراراً بالوحــدة (الواقــع هو قــرار كرومي وحــده) وأن عليه أن يوافــق أو يســتقيل[1]. فطأطــأ الماركسي رأســه

(1) وكالة المخابرات الأمريكية، محفظة ٣-٥٧٩ و٦٨٨ بتاريخ ٢٦ إبريل ١٩٦٤م. وقد جرى شطب الأسماء للمرسل منه والمرسل إليه قبل التصريح بشيوع الوثيقة في نوفمبر ١٩٩٧م.

وبصم على الوحدة. وواصل العمل في وظائفه الدنيا بدار السلام حتى وقع اغتيال كرومي في ١٩٧٢م فصار مطلوباً لحكومة زنجبار. فأطلق ساقيه لريح الهجرة يروج لنفسه كضحية استعمارية. وظل يذيع في مهاجره أن الوحدة التنزانية مؤامرة إمبريالية على «كوبا أفريقيا» في كتابيه الصادرين في ١٩٨٩م و١٩٩١م مما استعنا بهما هنا. ولم تبكته نفسه مرة ليذكر في شتاء ظلمه من ظلمهم بعقائده المرتجلة وإنكاره جنوسايد العرب حتى رحيله عن الدنيا في ١٩٩٦م.

واستثمر كرومي العبارة الماركسية الطبقية فخلطها بعرقيات حزبه الأفروشيرازي. فبعد أن كان يتهم خصومه بالشيوعية ويرضى بوصاية الإنجليز كما مر قبل الثورة صار يلهج بالشعار الماركسي ويتوعد الاستعماريين الجدد. ولا غلاط أنه كان لعون الصين وشرق أوربا لكرومي في حين تراخي الغرب دور لا يخفى في ذلك. وكان ذلك العون أثراً لبابو وهنقا الذي هو من يسار حزب كرومي وعصبة الشباب فيه. ولم يدم الأثر الماركسي طويلاً لريبة كرومي فيهما وتخلصه منهما. ولكن لغة الماركسية أعانت الحزب على إعادة صب خطابه العنصري القديم في لغة الطبقة. ولذا وصفوا العرب بـ«الإقطاعيين»[1] والهنود بـ«الرأسماليين» كلاب حر الاستعمار البريطاني العماني. وتذنيب الهنود جديد على الحزب لأنه قبل الثورة كانوا من شيعته وأكبر

---

(1) Glassman, 289.

مموليـه. وطابق عرقيـو الحزب بين الفـوارق الطبقية والفـوارق العرقيـة. ومـن ذلـك قولهـم إن عبوديـة العـرب للأفارقـة اسـتمرت طـوال التاريـخ المنتهـي بالثـورة. ووصـف حتـى المؤرخـين المهنيـين ثـورة زنجبـار بأنهـا ثـورة كلاسـيكية «للفلاحـين المعدمين والطبقـات العاملـة ضـد الأرسـتقراطية المالكـة لـلأرض». وجـرى الإصـلاح الزراعـي عـلى هـدي من مثل ذلـك التحليـل.[1]

وهكـذا اهتبـل كرومـي لجاجـات ماركسـية بابو ليبنـي دولـة طاغوتيـة أثقلت عـلى زنجبار لسـنوات.

«الزنجي لا يُزايد بزنوجته كما النمر لا يزأر بنمريّته» (وول شوينكا):

وجـدت في كتـاب قلاسـمان الأخـير عـن التفكـير العنـصري والعنـف في زنجبـار معالجـة نبيهـة نُقّعِد عليهـا مطلبنا لـرد الاعتبـار للضحايا العـرب وغيرهم عـلى مذابـح القوميـين الأفريقيـين في زنجبـار عـام ١٩٦٤م. فقـد وجد قلاسـمان مصدر العنـف العرقي في زنجبار في الـــ«nativism» الأفريقيـة. وهي بكلمة موجـزة عـداء المهاجريـن أو «الشـعوبية» متـى لـم نقـصر الكراهيـة عـلى العـرب في دارج اسـتخدامنا للمصطلـح. وهـي في الخـبرة الأمريكيـة سياسـات اجتماعيـة وحكوميـة نشـأت في القـرن التاسـع عشر جنحـت إلى رعايـة مصالـح السـاكن لا المهاجـر.

---

(1) Glassman, 290.

وصوّب قلاسـمان سـهام نقده للنسـخة الأفريقية من عـداء المهاجرين.

فهـو يميـز كره الأجانـب كمصدر لعنف سـتينات زنجبار عـن مصادر أخـرى تواضع عليهـا الناس كل بسـببه. فتجـد مـن العرب مـن يـرد ذلـك العنف إلى الاسـتعمار كما تجد أفارقـة يردونـه إلى تاريخ طويل للعـرب في النخاسـة الأفريقيـة والإقطـاع. ويريـد كل طـرف أن ينسـل مـن التبعـة انسـلال الشـعرة مـن العجـين. وأراد قلاسـمان أن يعـسر على تلـك الأطراف التنصـل مـن تبعة ذلـك العنف لأنـه كما قـال «لا أعد أيـاً مـن اللاعبـين في حقـول العنـف تلـك بطـلاً بـلا خطيئـة أو ضحية بـلا ذنـب». فبينما تريـد الأطراف مـن روايتهـا لواقعـة عنـف السـتينات تذنيـب الآخر يريـد هـو بروايتـه أن يشـدد عـلى عنـصر التراجيديا في تلـك المواجهـة. مـن جهة أخـرى لم تسـعفه تقاليد الكتابـة التاريخيـة عـن أفريقيـا ونزاعاتهـا العرقية لأنهـا تـرد وقائـع العنـف الأفريقـي إلى خصيصـة جينيـة أفريقيـة نزّاعـة إلى التقتيـل والتضريـج. ثـم جـاءت كتابـات أرادت أخـذ هـذا العنـف مـن البيولوجـي إلى التاريـخ. ولكنهـا جنحـت لتحميـل الاسـتعمار الأوربـي للقـارة وأيدولوجياتـه وزر هـذا العنـف. فللاسـتعمار بالطبـع أدوار في زرع العنف في أفريقيـا. ولكـن وجـب مـع ذلـك البحث عـن مصدر التفكـير العنـصري الأفريقـي في التواريـخ الثقافيـة للقـارة. فمع عظـم تأثـير المفاهيم العنصريـة الوافدة ولكـن أخذ أفريقيـا بها لم يكـن تبنياً بل «اشـتباكاً».

ويعنـــي بذلــك أن أفريقيــا لــم تكــن لوحــاً ممســـوحاً مــن ســيماء العنصريــة لتنطبع عليهــا مفاهيــم أوربا العنصريــة عــن فراغ.

خلافــاً لذلــك يــرى قلاســمان أنــه كان لأفريقيــا مفاهيمهــا العنصريــة التــي اشــتبكت مــع العنصرية الوافــدة وتخصبــت. وهــو حريــص ألا يفهــم أحــد مــن خطتــه، التــي تــرى الأفريقــي حامــلاً لمفاهيــم عنصريــة أصيلــة، أنه إنما يعــود بنا القهقــري للنظرة العنصريــة الأوربيــة التــي تقــول إن النــزاع العرقــي العنيــف هــو الأصــل في بيولوجيــا الأفريقــي. فمصدر النــزاع العرقــي المشــاهد في أفريقيــا ليــس خصيصة أفريقيــة بــل هــو ثمــرة حادثــات معــاصرة. فقــد وقــع في ســياق الحركــة القوميــة الأفريقيــة المناهضة للاســتعمار وأفحــش الأفارقــة فيه إفحــاش الأوربيين خــلال نهضتهــم القوميــة. ولــذا يعتب قلاســمان على المؤرخــين الذيــن ما زالــوا يمتنعــون عــن الكتابة عن «حقــول العنــف الأفريقــي» مثــل مذبحــة زنجبار في ١٩٦٤ التــي هــي خيــارات عنيفــة قاتلــة لأفريقيــين في تمــام عقلهــم وعافيتهــم ســبقهم إليهــا قوميــون آخــرون.[1]

ولا يعتقــد قلاســمان أن ثورة ١٩٦٤م اســتنفدت العنف العرقــي وجففته. فهويات زنجبــار التي ولدت عنــف ١٩٦٤م مــا زالت قائمــة وبوســع عصبياتها أن تفــرخ محنــة جديدة. فــصراع بــر أفريقيــا وزنجبار قائــم على قــدم وســاق إلى تاريخــه. فقد فَقَــد الحزب

(1) Glassman, x-xi.

الحاكم في تنزانيا، حزب الثورة، الذي نشأ من دمج تانو تنجايقا والأفروشيرازي الزنجباري، أرضه في زنجبار إلا قليلا[1]. فنافسه على أفئدة الناس حزب الجبهة المدنية الموحدة الذي ظل حاضنة لذاكرة زنجبار المستقلة. وانطوى صراع الحزبين على محتو إثني بارز. فالناخبون من أصل عربي في زنجبار يصوتون لحزب الجبهة المدنية بينما يصوت الناخبون الذين أصولهم من بر أفريقيا لحزب الثورة. ويسترجع الفرقاء خلافهم الأصل في سياق معاصر. فيتهم حزب الثورة خصومه بأنهم يمثلون مصالح العرب الذين يرغبون في استعادة السلطنة وفرض جمهورية إسلامية وطرد زنجباريّ البر الأفريقي. بينما يحمل حزب الجبهة المدنية على خصومهم بأنهم حزب البر الأفريقي المسيحي. واستغرب قلاسمان أن تمكث هذا البلاغة العرقية في زنجبار التي تغيرت في نصف القرن الماضي تغيراً لم يبق أثراً لنظمها السلطانية الإقطاعية فحسب بل كتم نظام الحكم في تنزانيا الصوت الآخر منذ الثورة ولم يسمح به إلا في ١٩٨٥م. ويتساءل قلاسمان إن كان هذا يعنى أن العرقية دساسة بما يجدد من شباب نظريات الأرومة و«البربرية الجديدة» التي تفسر التطهير العرقي الماثل في أفريقيا بخصيصة أفريقية جينية.

لم تؤد أربعة عقود من دولة القومية الأفريقية الكارهة للأجانب التي نشأت بعد الثورة إلا لتقوية

---

(1) Glassman, 284.

كراهيـة أهـل زنجبـار ضـد أفريقـيّ الـبر الأفريقي، المسـيطرين عـلى الحـزب الحاكـم، وحملوهـم تـردي معاشـهم[1] وصـاروا الزنجباريـون يـرون ثـورة ١٩٦٤م كغـزوة أجنبيـة أمـن عليهـا نايريـري إن لم يكـن هـو مـن رتبها. وعـلى ما بدا مـن اتحـاد زنزبار وتنجانيقـا في دولـة تنزانيـا كإنجـاز موفـق للجامعة الأفريقيـة إلا أنـه، لمّا انعقـد التحالف لأجلـه بليل بين كرومـي ونايريـري، صار حقـلاً خصبـاً للتخرصات مـن مثـل أن الاتحـاد مـشروع مسـيحي لاحتـواء الإسـلام. وتسـتقي هذه التفسـيرات الدينية من معين علمانـي أذاعـه بابو بعـد خلافه مع كرومـي وهجرته عـن تنزانيـا إلى أوربـا في ١٩٧٨م. فوصـف الاتحـاد بأنـه خيانـة للثـورة وغايات الوحـدة الأفريقيـة التي كان بها تبريـر انعقاده[2]. فكانـت دواعي تلك الوحدة الأفريقيـة، في نظـر بابـو، ذريعـة إخضـاع الجزيـرة للـبر الأفريقـي. فمـن رأيـه أن خـوف الغـرب مـن «كوبـا أفريقيـا»، زنجبـار، هو الـذي دفـع بالولايات المتحـدة لترتيـب اتحـاد تنجانيقـا وزنجبـار صفقـة بـين عملائهـا نايريري وكرومـي. ووقعـت الخيانة في نظـر أفريقـيّ زنجبار كمـا اتفق لبابو ولكن للإسـلام لا للثـورة العالمية.[3]

ورصـد قلاسـمان نشـأه ظاهـرة كـره زنجبـار لأهـل الـبر في وجه تغـول الـبر عليهـا. فقـال إن ذلك

---

(1) Glassman, 290.

(2) Glassman, 292.

(3) Glassman, 293.

الكـره ليس خصيصـة في زنجبـار على مـدى الزمان. فهـي ممـا تفننـت في اصطناعـه السياسـة[1]. فحتى كرومـي ومـن خلفـه في دولة ثـورة زنجبار تمسـكوا بذاتيـة الجزيـرة واسـتثمروا كـره أهـل الـبر ليأتلف عندهـم أهـل زنجبـار. ومـا يـزال الزنجباريـون في الحـزب الحاكـم اليـوم يبـدون الحـرص عـلى ذاتيـة زنجبـار متـى مـا سـاغ لهـم ذلـك ممـا يجـر عليهم غضـب حزبهـم. ولكـن للمعارضـة بالطبـع اليـد الطـولي في اسـتثمار مخـاوف الزنجباريـين مـن البر. فهـم يذيعـون أن الاتحاد يمثـل تهديداً لـدور زنجبار التاريخـي كمركـز للثقافـة الإسـلامية. ويسـتذكر بعضهـم مـا راج في السـتينات من أن نايريـري، الذي بـدأ كطالـب علـوم لاهـوت مسـيحي، هو الـذي رتب للاتحـاد والثورة أيضـاً كجزء من مـشروع كاثوليكي متكامـل ضد الإسـلام. ورأينـا تداعيات غبـن زنجبار مـن الـبر بعـد انضمـام زنجبـار لمنظمـة التضامـن الإسـلامي في ١٩٩٣م. وهـو انضمـام اعترضـت عليه الحكومـة الفدراليـة لأنـه ليـس من صلاحيـة زنجبار وحدها أن ترسـم لنفسـها هـذا الأمر السـيادي. وكان رئيـس زنجبـار آنذاك قـد طلـب الانضمـام للجامعة الإسـلامية ليلقـى جماهيريـة زنجباريـة تعتقـد في أن هـوى زنجبـار، التـي كانـت لهـا إمبراطوريـة وصلـت للبحـيرات ووسـط أفريقيـا، صـوب الـدول المسـلمة. ولـذا بـدا لهـم اعـتراض الحـزب الحاكـم عـلى الدبلوماسـية الزنجباريـة بابـاً من أبـواب كيده

---

(1) Glassman, 293.

للإسلام. ومن جهته يتهم الحزب الحاكم المعارضة بأنها عروبية تريد أن تسترجع دولة العرب والإقطاع العماني. وأنها تتبع سياسات الأصولية الإسلامية. واستثمر الحزب الحاكم معطيات حرب الإرهاب الأمريكية منذ ٢٠٠١م ليلحن بحجته. وهكذا تهدد هذه الاتهامات المتبادلة أن تتفجر في عنف عرقي. وهو ما لم يحدث بعد وإن وقعت أحداث عنف محدودة.[1]

وفي هذا السياق يسترجع الناس ذكرى ثورة ١٩٦٤م. فحزب الحكومة يعد المعارضين منقلبين على الثورة يريدون العودة إلى عهد الإقطاع والردة عن الإصلاح الزراعي. وعرض في ذكرى الثورة في ٢٠٠١م فلماً عنها وأخريات عن رواندا وميدان تيانانام الصينية ليذكر المعارضة كيف أنبنت زنجبار على طبقات من العنف[2]. فالثورة صارت نقطة مرجعية للأطراف. الحزب الحاكم يشدد بذكرها على هويته الأفريقية ويبخس العرب الذين سيعودن بالنخاسة متى انفتح لهم الباب. ومن الجهة الأخرى توطن المعارضة الثورة كحدث زنجباري، لا دخل لأفارقة البر به، مدافعين عن الثقافة الإسلامية في وجه البربرية التي من البر.

وينبه قلاسمان إلى خطل هذه المواجهة الدينية. ففي البر الأفريقي، تنجانيقا القديمة، مسلمون بقدر المسيحيين. وقال إنه متى ما تضرر مسلمو

(1) Glassman, 295.

(2) Glassman, 296.

زنجبار من المسيحيين فلربما ساق هذا مسلمو البر إلى مناصرتهم في نهاية المطاف مما سيجعل الوضع كارثياً في البر الأفريقي مصداقاً للمثل السواحيلي: «إذا زَمر زامر زنجبار رقصت البحيرات».[1]

وخلص قلاسمان إلى ألا يعاد إنتاج التفكير العرقي بمجرد الترويج من جديد لأفكار قديمة ولكن باستكمال هذه الأفكار وصقلها بعناصر مستجدة. ويشمل هذا في حالنا المخصوصة الجدل حول الاتحاد وشرعية الدولة المبنية على دعاو القومية الأفريقية العرقية والعبارات شبه (quasi) الماركسية عن الطبقة والاستعمار الجديد، والمناقشات التاريخية عن ثورة ١٩٦٤م، وما استجد من الحرب على الإرهاب الإسلامي. ومع لعب القومية العرقية الأفريقية دوراً تحريرياً مميزاً إلا أنها سلكت في زنجبار طريقاً بغيضاً وتر المعارضة للحزب الحاكم بطرق مكنت لكره سياسي زنجباري للبر الأفريقي.[2]

---

(1) Glassman, 298.

(2) Glassman, 298-299.

الخاتمة

من بين أكثر الوقائع دراميــة في محنــة زنجبار ما قرأتــه لأحــد الناجين منهــا. قــال إنهــم أخضعوه لتعذيب شــديد مــن ويلاته أن يجيب على الســؤال: من أنــت؟ لتكون إجابتــه حصرياً «أفريقــي» بالمعنى الذي أراده متعصبــو الزنوجيــة الزنجباريــون. وقال الرجل إن مــا كان يعذبــه من الإجابــة المفروضة عليــه أنه بدا كمــن يخــون زنجبــار حمالــة الثقافــات أو مصهرها. فلمــا انكــسر تحــت التعذيب وقــال «أفريقــي» كطلب الزبانيــة أمضه شــعوره بأنــه ارتكب إثم الــردة بحق إرث زنجبــار الخليــط أو الخلاسي.

أردت بهــذا المبحــث أن نــرد بصورة اســتراتيجية الزندقــة الزنوجية المنقلبــة على إرث زنجبــار الحنيف التــي تجلــت بصــورة مصغــرة في مثــل تلــك التــي فرضهــا فريــق التعذيــب عــلى العربــي الزنجبــاري أعــلاه. ولكــن علينــا أن نحذر في رســم اســتراتيجيتنا لإماطــة الأذى عــن طريق العلائــق العربيــة الأفريقية

واحدة. وهي أن نتمثل هولوكوست زنجبار بمصطلح «الأندلس المفقود»[1]. فليس بوسعنا الآن فعل كثير شيء لتدارك الأندلس خلافاً لزنجبار التي لم تخرج عن اليد بعد. فزنجبار ليست للنوستالجيا بعد. فمما يترتب على مقاربتها بالأندلس هو نفض اليد عن تجربة شديدة التعقيد وغراء في لقاء الثقافة العربية والإسلامية ببعض أفريقيا. وهي تجربة لم نسبر بعد جدلها. ومن أمثلة نفض اليد غير المستحب نجد من تنفس الصعداء لأن عرب زنجبار عادوا إلى مرابعهم العربية الأصل[2]. فكسب العروبة والإسلام في خلاسية زنجبار ماكث لم يقتلع الجنوسايد عروقه القديمة. فقد قرأت لأمل نديم غزال (٢٠٠٥م) رسالة جامعية حسنة كشفت عن زنجبار كضلع في مثلث إحياء عقيدة الإباضية مع عمان والجزائر. من الجهة الأخرى، فزنجبار حفيظة على كسبها العربي الإسلامي لم يذهلها خطب ١٩٦٤م. وربما اشتطت حتى حذرها قلاسمان من الانكفاء على نفسها بالانفصال عن تنزانيا. فلا مهرب لها من ذلك الكسب وغزارته. فتنزانيا، في قوله، دار للمسلمين أيضاً يعدلون الملل الأخرى عدداً.[3]

وعلينا أن نشدد النكير الفكري على القومية الزنوجية الأفريقية الناكرة لتجارب خلطة القارة

(1) الريس. ص ٢٠٠.

(2) الريامي. ص ٤٩٤-٤٩٦.

(3) Glassman, 298.

التاريخية بأعراق وملل وثقافات صارت بعض نسيج القاري الثقافي والبشري. فلربما ارتكبت هذه الكيانات الوافدة الموبقات التاريخية بحق قطاع أفريقي تاريخي أو معاصر. ولكن حقيقة الوجود العربي الإسلامي في القارة قدر ونفذ. فالزنوجية الخالصة مجروحة ويكفي أن أوكيلو، بطلها أو سفاحها، تقمص دور المخلص لزنجبار في مصطلح المسيحية. وهي دين طارف كان هو نفسه من بين الأوائل من بين أهله الذين تحولوا إليه من عقائدهم التقليدية. ولم يطرف لأولئك جفن يقتلون على وزر الغربة عن أفريقيا قوما وثقافة سبقت المسيحية بقرون.

الزنوجية، في منظور علم الاجتماع المعاصر، مصطنعة أو مخترعة. وليست الزنوجة على أشدها حالياً. فسهام النقد تنوشها من كل جانب. وسيكون في استراتيجيتنا لإماطة أذى العلائق العربية الأفريقية مستصحبين هولوكوست زنجبار إنقاذ لها من محنتها مع عقيدتها المخترعة. فأفريقيا صارت بيضاء بدخول نحو ٦ مليون أبيض أفواجا مواطنين مستحقين في دولة جنوب أفريقيا بفضل سياسات الحزب الأفريقي الوطني الذي لم يفرق في العرق خلال نضاله الطويل لإنهاء دولة الأبارتايد. فلم يستبدل دولة عرق أبيض بأخرى سوداء كما رغب في ذاك أفريقيون آخرون وربما ما يزالون.

ستنقذ استراتيجيتنا موضوع النظر أفريقيا من شرور الزنوجية التي تمثلت في عنف ضرب القارة

وضرجها بالـدم. فقد كان سـهلاً للزنوجيـة أن تفرق متـى كان الخصـم ممن قدم أجداده مـن خارج القارة مثل العـرب والأوربيـين البيض. وكذلك الهنـود الذين طردهـم عيـدي أمين، رئيـس أوغندا، من البلـد. ولكن تعثـرت الزنوجيـة في «أجانب أفريقيـين» حين شرعت القـارة في بنـاء الأمة-الدولة بعد اسـتقلال شـعوبها. فقـد قتـل الهوتـو التوتـسي بسـبب أنهـم «أجانـب» جـاءوا مـن أثيوبيا. بل كانـوا يلقون بجثثهـم في النيل ليعـودا إلى مضاربهـم الأولى. ناهيك مـن الحالات التي جري استـبعاد، أو محاولة اسـتبعاد، مرشـح للرئاسة في أفريقيـا لأنـه «أجنبي» في معنـى الوطن المخصوص لا الزنوجـة بشـكل عـام. وشـمل ذلـك كنيـث كاوندا مؤسـس دولة زامبيا والحسـن وتـارا رئيس جمهورية سـاحل العـاج الحـالي. وهـذه «عرقيـة» أو «إثنيـة» أفرزتهـا الدولـة الوطنية.

نريـد لاسـتراتيجيتنا المنشـودة أن «نشـتبك» بهـا بأفريقيـا بصـورة أوثـق وأعمـق وأكـرم. ولنحسـن تصميـم هذه الخطـة وجـب أن ننسى كل مـا تعلمناه عن «الـدور الحضـاري» للعروبة والإسـلام في أفريقيا في مغـزاه التبشـيري. فقـد اعتقلنـا هذا الـدور في أفق تأليفـي اقتـصر عـلى تدوين دخـول العرب والإسـلام وأفريقيـا ودورهمـا في ترفيـع أفريقيـا وتحضيرهـا. وهـو تدويـن مـا فتـئ يعمـق مـن غربـة العـرب والإسـلام عـن القارة السـوداء. ولـم يتفق لنـا بعد أن العروبة والإسـلام أفريقيان وحسـب بـلا حاجة لذكر موطنهمـا الأصـل. ولم تبـد لي هذه الحقيقـة البديهية

إلا حين زار هنري قيتس مدينة تمبكتو بمالي، «هارفارد» أفريقيا الإسلامية في غرب أفريقيا، وشق عليه تدهور ذخائر كتبها وتأليف علمائها لبؤس مقار حفظها وتعذر صونها. فروّع بفيلمه الأكاديمية العالمية فانفعلت ودبرت الأموال لإنقاذ هذا التراث الأفريقي. فصينت المكتبات وانعقدت الندوات لتقييم ذلك الإرث. ومن بين عناوين تلك الندوات أخذ بلبي ذلك الذي كان: «طريق الحبر». ونظر المؤتمر في مسارات علماء المسلمين في القارة وجامعاتهم والمحسنين إليهم وآثارهم. فأصّل الثقافة الإسلامية والعربية نسيجاً مستكناً في القارة في حين تراخت طرق أخرى كان التركيز فيها على طرق الرق ومتعلقاته.

قائمة المصادر والمراجع

كتب باللغة العربية:

1 جمال زكريا قاسم: دولة البورسعيد في عمان وشرق أفريقيا. مركز زايد للتراث، أبوظبي، ٢٠٠٠م.

2 رياض نجيب الريس: صحافي ومدينتان: رحلة إلى سمرقند وزنجبار. رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

3 محمد فائق: عبد الناصر والثورة الأفريقية. دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.

4 ناصر بن عبد الله الريامي: زنجبار، شخصيات وأحداث. دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩م.

كتب، باللغة الإنجليزية:

5 Adam, Heribert, Hushed Voices: Unacknowledged Atrocities of the 20th Century. Berkshire: Berkshire Academic Press, 2011.

6 Hgvem Ferguson, Zanzibar under Colonialism. London, James Cury, 1991.

7 Hgvem Ferguson, The Background to the Zanzibar Revolution. In Amrit Wilson, US Foreign Policy and Revolution: The Creation of Tanzania. London: Pluto Press, 1989.

8 Clayton, Anthony, Zanzibar Revolution and its Aftermath. London: C. Hurst, 1981.

9 Ghazal, Amal N. Islam and Arabism in Zanzibar: The Omani Elite, the Arab World and the Making of an Identity, Ph.D. dissertation, University of Alberta, 2005.

10 Glassman, Jonathon. War of Words, War of Stones: Racial Thought and Violence in Colonial Zanzibar. Bloomington: Indiana University Press, 2001.

11 Lemarchand, Rene. Forgotten Genocides: Oblivion, Denial, and Memory. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2011.

12 Lockwood, Sandra, Nightmare in Paradise: The 1964 Zanzibar Revolution and Genocide. In Adam Heribert, Hushed Voices: Unacknowledged Atrocities of the 20th Century. Berkshire: Berkshire Academic Press, 2011.

13 Mamdani, Mahmood, Saviors and Survivors: Darfur, Politics, and War on Terror. New York: Doubleday, 2009.

14 Mapuri, Omar R. Zanzibar, The 1964 Revolution: Achievements and Prospects. Dar es Sallam: Tema Publishers, 1996.

15 Martin, Esmond Bradley, Zanzibar: Tradition and Revolution. London: Hamish Hamilton, 1978.

16 Mazrui, Ali and Michael Tidy, Nationalism and New States in Africa. London: Heinemann Educational Books, 1984.

17 Okello, John, Revolution in Zanzibar, Nairobi: East African Publishing House, 1967.